البعثة الأزهرية إلى الهند

دراسة

لأحوال الطوائف والهيئات الإسلامية بالهند

وبحث

فى شؤون المنبوذين
ومبلغ استعدادهم لاعتناق الإسلام



مطبعة حجازى بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

البعثـــة الأزهرية إلى الهنـــد

دراســـــة

لأحوال الطوائف والهيئات الاسلامية بالهند

وبحث

فى شؤون المنبوذين ومبلغ استعدادهم لاعتناق الاسلام

تقرير

مرفوع إلى حضرة صاحب الفضيـــــلة مولانا الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر

وحضرات أصحاب الفضيلة أعضاء جماعة كبار العلماء

للدفاع عن الدين

مطبعـــة حجازى بالقـــاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين . أما بعد : فإن البعثة الأزهرية إلى الهند تتشرف برفع هذا التقرير إلى حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر « الشيخ محمد مصطفى المراغى » شيخ الجامع الأزهر .

وإنا لنتوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، فى مستهل عملنا ، أن يوفقنا لإبداء الرأى واضحاً جلياً لصالح الإسلام والمسلمين ، مبتغين فيه وجه الله الكريم ، والله تعالى ولى التوفيق .

« بعثة الأزهر إلى الهند »

ابراهيم الجبالى

عبد الوهاب النجار

محمد احمد العدوى

محمد حبيب احمد

محمد صلاح الدين النجار

ربيع الاول سنة ١٣٥٦

مايو سنة ١٩٣٧

نشأة الفكرة

نشرت جريدة البلاغ ، بتاريخ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ الموافق ١٣ يونية سنة ١٩٣٦ ، مقالا ضافياً على أحوال طائفة المنبوذين فى الهند ، ذهبت فيه الى أنهم قد تبرموا بوضعهم الدينى والسياسى ؛ فاجتمع رؤساؤهم مرات متكررة ، ثم قرروا التحول من الدين الهندوسى — الذى يضعهم فى أحط الدركات — إلى دين يختارونه ، يمتاز بالخلو من نظام الطبقات ، حيث يجدون العزة ويتبوءون المكانة اللائقة بهم . كما ذكرت أن كثيراً من زعماء المنبوذين قد أثنوا على الاسلام فى خلال خطابهم ، وأن زعيما من زعمائهم هو « الدكتور أمبيدكار » أعلن فى جمع حافل أنه لا مناص من تغيير الدين الذى نشأ عليه إلى دين آخر لم يحن الوقت لإعلانه .

اتجهت الأنظار عندئذ إلى « الأزهر الشريف » ، وكل الناس ينتظر منه عملا يشرف الاسلام ويُثلج صدور أهله ؛ ثم جاءت الكتب تترى إلى فضيلة الأستاذ الأكبر : كل يدلى بما وصل إليه فكره من رأى يعتقده مجدياً فى ضم المنبوذين — وهم خمسون مليونا — إلى حظيرة الاسلام . وكانوا جميعاً متواضعين على اقتراح إرسال الوعاظ والدعاة إلى ذلك القطر النائى لهداية هؤلاء القوم إلى الدين الاسلامى الحنيف ؛ ببيان محاسنه ، والإعراب عن سمو مبادئه ، والتدليل على أنه الدين الذى يكفل لأهله الحرية والإخاء والمساواة .

و بعد ذلك بأسابيع ، وردت على فضيلة الأستاذ الأكبر عدة رسائل من الهند ، تناقضت فيها الأخبار : فمن قائل بضرورة إيفاد بعثة من المبلغين ؛ إلى قائل بالاستغناء عن ذلك بإعانة مالية يرسلها الأزهر للجمعيات التى تقوم بالعمل فعلا . وقد ذهب فريق من المتشائمين إلى أن الأزهر لا يستطيع أن يساهم بكثير أو قليل فى هذا العمل الخطير .

عندئذ عمد فضيلة الأستاذ الأكبر إلى التأنى حتى ينجلي الموقف ، ثم بعث إلى بعض شخصيات الهند البارزة يسألهم رأيهم فى الأمر .

وما أن نشرت جريدة البلاغ أخبار هذه الكتب ، حتى انهالت الرسائل تتحدث إلى فضيلته عن شئون المنبوذين . وكان من المبادرين إلى ذلك السيد عبد العزيز الثعالبي ، إذ تقدم بتقرير ضاف يبين شأن المنبوذين وما يلاقون من هوان ، ويصف أحوالهم وما يحتاجون إليه ، وما ينبغي

أن يقوم به الأزهر من أجلهم . وقد ذهب فى تقريره إلى أنه لا لزوم لإرسال بعثة لإدخال المنبوذين فى الاسلام ، فاذا لم تكن ثم مندوحة من العمل ، فليجمع المال لإنشاء المؤسسات لهم ، من مدارس ومستوصفات وملاجىء ونحو ذلك . وأما البعثة فأنها تكلف المال الكثير دون جدوى . ولما كانت جريدة البلاغ محور الاهتمام الصحفى بالأمر ، فقد وردتها جملة رسائل كانت تنشرها تباعا ؛ ومن أهمها ماتقدم به الأستاذ حامد المليجى إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ؛ وهو خطاب ورد عليه من محمد زكريا منيار سكرتير «أنجومان تبليغ الاسلام ببومبى» تاريخه ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ ، يذكر فيه أن إرسال بعثة من الأزهر - فى الوقت الحاضر - مضر جداً ؛ وأن الهندوس قد قامت فيهم حركة عنيفة ، واستعدوا بالمال الكثير لمقاومة البعثة و إحباط مسعاها .

ثم قدم السيد عبد العزيز الثعالبى كتابا — عدا تقريره السابق — من أربع صفحات ، ورد إليه من محمد زكريا منيار نفسه - تاريخه ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٦ - يذكر فيه الكثير من غنى الهندوس و إجزالهم الهبات فى سبيل صوالحهم الطائفية . وأنهم سيقاومون بعثة الأزهر أشد مقاومة ؛ لفرط حرصهم على بقاء المنبوذين على دينهم ، وإن بعثة الأزهر سيكون شأنها الإعلان والتظاهر ؛ مما يغرى الهندوس بمقاومتها غاية جهدهم ، كما ذكر أن الملايين التى أذاعت الجرائد إسلامها ليست حقيقية ، و إن جمعيات التبليغ بالهند عاملة على تهيئة الجو الصالح ، حتى إذا آن الأوان جاز لبعثة الأزهر أن تسافر إلى الهند .

وورد على فضيلة الأستاذ الأكبر كتاب من الأستاذ فضل رحيم المحامى بناجبور يستحث فيه الأزهر على إرسال بعثته ؛ ويبين مزايا هذه البعثة ويشرح طريقة العمل .

عرض الأمر على جماعة كبار العلماء

إزاء هذا التناقض الغريب ، رأى فضيلة الأستاذ الأكبر أن يرسل بعثة لدراسة الأحوال فى الهند ، كما رأى الفرصة مناسبة لأن تضيف البعثة إلى عملها الاتصال بالبيئات العلمية الإسلامية ، ورجال الفكر والشخصيات البارزة فى الهند .

ثم عرض فضيلته الأمر على جماعة كبار العلماء ، مدعماً بما ورد إليه من رسائل : ممن دعاهم ، وممن لم يدعهم ، إلى التقدم برأيهم . ومن أمهات هذه الكتب ماورد من السير محمد إقبال شاعر الهند الإسلامية وفيلسوفها العظيم .

عرضت جماعة كبار العلماء لظروف الحال ، وقررت ما يأتى :

١ — إرسال بعثة إلى الهند لدراسة حال المنبوذين ومعرفة الوسائل الناجعة لهدايتهم إلى الإسلام ، ودراسة أحوال الجمعيات والطوائف الاسلامية بالهند .

٢ — أن يكون عدد أفراد البعثة ثلاثة ، ومعهم سكرتير يجيد اللغة الانجليزية . ويصح أن يلحق بهذه البعثة بعض الهنود بالجامع الأزهر .

٣ — أن يفوض إلى حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر اختيار أشخاص البعثة ممن يمكنهم الاضطلاع بهذه المهمة . وأن يفوض إليه كذلك إنفاق المال اللازم على هذه البعثة من أموال الجماعة .

يتبين من هذا أن مهمة البعثة قد انحصرت فيما يلى : —

١ — دراسة حال المنبوذين ومعرفة الوسائل الناجعة لهدايتهم إلى الإسلام .

٢ — دراسة أحوال الجمعيات والطوائف الإسلامية بالهند .

وقد قامت البعثة — بتوفيق الله تعالى — بما كلفته ، ثم رأت من الصالح أن تضيف إلى عملها دراسات وأعمالا أخرى اقتضاها الصالح العام ، مما هو وارد بهذا التقرير .

وقد وقع اختيار فضيلة الأستاذ الأكبر على أصحاب الفضيلة : الشيخ ابراهيم الجبالى رئيساً للبعثة ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والشيخ محمد أحمد العدوى ؛ عضوين بها .

أما سكرتارية البعثة فقد أسندت إلى الأستاذ محمد حبيب أحمد ، مدرس التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين . ووقع الاختيار على محمد صلاح الدين النجار افندى لمساعدته فى عمله .

قبيل سفر البعثة

تجهز أعضاء البعثة للسفر ، ثم قابلوا فضيلة الأستاذ الأكبر ، فأسدى إليهم غالى النصح ، وطلب إليهم أن يتصلوا بطوائف المسلمين ، وأن يعملوا — مااستطاعوا — على إزالة الفوارق بينها ، وأن يكونوا إخواناً متعاضدين ، تحقيقاً للوحدة الاسلامية التى قال الله تعالى بشأنها « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ؛ فإذا وفقت البعثة لذلك جنى الاسلام فائدة عظيمة . كما طلب إليهم أن يعقدوا صلات الود بين معاهد العلم فى الهند ، والأزهر فى مصر ، على أساس النفع المتبادل . وأن يدرسوا — عن كثب — حال المنبوذين ، دراسة مستفيضة ليعلموا إلى أى حد يمكن الأزهر أن يساهم

فى الحركة التى أذيعت عنهم إن كان لها حقيقة ، ثم دعى لهم بالتوفيق ؛ وكان ذلك فى اليوم الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٥٥ .

وفى اليوم التالى قابل أعضاء البعثة مجلس الوصاية الموقر بقصر عابدين ؛ فأبدى حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على ارتياحه وسروره العظيم لسفر البعثة . ثم أخذ سموه يلقى النصائح على ضوء ماشاهده فى رحلته الى الهند .

ثم قابلت البعثة بعد ذلك حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء . ولما أن شرحت له البعثة مقاصدها سر من ذلك سروراً عظيماً وأخذ يلقى النصائح ويدعو للبعثة بالتوفيق .

وفى اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٥٥ ، الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٣٦ غادرت البعثة القاهرة ، وقد ودعت فيها وداعا حافلا ؛ وكان على رأس المودعين فضيلة الأستاذ الأكبر يحف به عظماء القوم من كل من يمت إلى البعثة أو أحد أعضائها بصلة ، فكان وداعاً رائعاً جمع فأوعى .

ثم استقبلت البعثة كذلك فى (بنها) استقبالا حاراً ، إذ جاء إليها وفد من علماء معهد طنطا يتقدمهم فضيلة الأستاذ (المرحوم) الشيخ محمود الدينارى .

أما (بورسعيد) ، فقد كانت حفاوتها بالبعثة عظيمة ، منذ نزلت بها إلى أن غادرتها على ظهر السفينة ، فى الساعة الثامنة من مساء اليوم التالى .

وبعد أن اجتازت الباخرة القناة ، (ولم تقف فى مدينة السويس) ، وردت على البعثة رسالة لاسلكية من أهالى السويس وبورتوفيق يحيونها ويرجون لها النجاح فى مهمتها : وقد أجابت البعثة على ذلك بالشكر .

كلمة شكر

وقبل أن نسترسل فى الكلام على شئون البعثة ، يجدر بنا أن نتقدم بوافر الحمد وجزيل الشكر ، إلى الصحافة المصرية ؛ لبالغ عنايتها بشئون البعثة قبل سفرها وبعده . ونخص بالشكر جريدة البلاغ على عنايتها بالشئون الاسلامية عامة وشئون الهند خاصة ؛ فقد كانت للأستاذ حامد المليجى محرر القسم الشرقى بالبلاغ ، جهود تقرن بالشكر فى تتبع الشئون التى يهم الأزهر الوقوف عليها ،

وأستطلاع آراء العاملين — على اختلاف نزعاتهم — في هذا الموضوع ، مما ألقى عليه ضوءاً جديداً .

ولا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر لجرائد : الاهرام ، والمصرى ، والجهاد ، على تتبعها أخبار البعثة ، ونشرها الكثير من الرسائل الواردة عليها من مكاتبيها بالهند .

كما يجدر بنا أن نتقدم إلى جمعية الشبان المسلمين — ممثلة فى شخص رئيسها الدكتور عبد الحميد سعيد — بالشكر على ما بذله من المساعدات الأدبية للبعثة .

فى عدن

استقبلت البعثة فى ثغر عدن استقبالا عظيما ، حيث صعد إليها السيد عبد الله علوى الجفرى ، والسيد عبد الرحمن الجفرى ، وكذا بعض أعيان عدن ؛ ونزل الجميع إلى البر حيث كان سمو الأمير فضل العبدلى ولى عهد سلطنة لحج قد جاء لاستقبال البعثة والسلام عليها . ثم سار الجميع — فى رتل من السيارات — إلى نادى « الإصلاح الأدبى » حيث أعدت لهم مائدة إفطار ، جمعت أعيان البلاد وأهل العلم ، أمثال : السيد عبد الله بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوى ، وأولاد عمومته ، والسيد الأصنج من أدباء عدن وأهل الغيرة على مصالح المسلمين بها .

ثم انتقل الجمع إلى قصر عظمة سلطان لحج ، حيث كان فى استقبالهم سمو ولى العهد ومعه حاشيته ، وهناك التقينا بالسيد عبد العزيز الثعالبى ، وكان قد سبقنا إلى عدن فى طريقه إلى الهند .

و بعد تناول المرطبات بقصر عظمة السلطان عادت البعثة إلى الباخرة ، وفى صحبة سمو ولى العهد والشباب الناهضين من أهل العلم والأدب ، فشكرت البعثة للجميع بالغ حفاوتهم .

ثم سارت الباخرة فى طريقها إلى بومباى .

وحدث ونحن على ظهر السفينة أن اتفقت كلمتنا على النزول بفندق «تاج محل» ، وهو أعظم فندق فى بومباى ، حفظاً لكرامة البعثة والهيئة الموقرة التى أوفدتها ، وحتى تتاح الفرصة لكل من يريد الاتصال بالبعثة ، أن يقصد إلى الفندق فى غير حرج .

وقبل وصولنا إلى بومباى بيومين ، وردتنا رسالة لاسلكية من « الحاج قاسم على شيراز بهاى» من كبار أعيان المدينة ورئيس جمعية « أنجومان تبليغ الإسلام » ، يرحب بالبعثة ويرجو أن تقبل النزول فى ضيافته ؛ فأجبناه برقيا شاكرين له دعوته ، معتذرين بأننا حجزنا فى

فُندق « تاج محل » . وقد علمنا بعد ذلك أن تصرفنا هـذا كان برداً وسلاماً على قلوب الجالية العربية وغيرهم ببومباى ؛ إذ رأوا فيه عزة لنا ولهم ، ورفعة لمقامنا ومقامهم ، فى أعين أهل الهند .

وقد رأينا أن نستعد ، ونحن على ظهر السفينة ، ببيان ندلى به إلى الصحافة الهندية عند نزولنا ، فوضعنا البيان الآتى :

«إن البعثة الأزهرية المصرية ، قد قدمت إلى الهند ، تحمل بين جنبيها صداقة الشعب المصرى ، لسكان الهند كافة ؛ وقد جاءت إلى هذه البلاد ، لزيارة المؤسسات العلمية على العموم ، والإسلامية منها على الخصوص . وكذلك للتعرف بزعماء المسلمين ، وقادة الفكر فيهم ، وهى ترجو من وراء ذلك أن توطد علاقات الصداقة ، بين المسلمين فى الهند ، وإخوانهم فى الإسلام بمصر »

فكان ذلك البيان باكورة طيبة لعمل البعثة ؛ نشرته كافة الصحف الهندية ، ثم علقت عليه ، بالترحيب بها ؛ راجية لها أن توفق فى مهمتها ، كما كان للبيان أثر طيب فى جميع الدوائر الإسلامية ، وكذا فى الدوائر الحكومية ، مما استطعنا أن نستجليه واضحاً ، فى خلال مقابلاتنا العدة ، مع رجال الحكم فى تلك البلاد .

وكان من أثره كذلك ، أن رغبت الحكومة فى تسهيل مهمتنا ، فأوصت الحكومة المركزية فى دلهى ، كافة الحكومات الإقليمية بالبعثة خيراً ، فكان ذلك عوناً لنا على القيام بما كلفناه .

مكانة مصر والأزهر عند مسلمى الهند

إن بلاد الهند — مع كثرة المتعلمين والمثقفين من المسلمين فيها ، والحاصلين على أعلى الدرجات العلمية ، من جامعات انجلترا ، وألمانيا ، وأمريكا ، واليابان — لايزال أهلها يكنُّون لمصر كل إكبار واحترام ، ويعتبرونها زعيمة الأمم الشرقية ، فى العلوم والمعارف ؛ وحاملة لواء النهضة العلمية والثقافية ، فى الشرق كله .

أما الأزهر فله فى قلوبهم مكانة عظمى ؛ فهو عند المسلمين — بلا استثناء — كعبة العلوم الدينية والعربية ، والمنهل العذب لجميع طلاب العلوم الدينية فى العالم بأسره ؛ وعلماؤه قدوة أهل الشرق والغرب فى الدين ، وهم الهداة الذين لا يشق لهم غبار .

وكم سمعنا من أفاضل العلماء الأتقياء قولهم ، والعبرات تخنقهم : « إنكم يا أهل مصر ، تردون موارد العلم فى الأزهر صافية عذبة ، ونحن لا نرد إلا كدراً ؛ لذلك شاع بيننا اختلاف العلماء ، وتباين الأهواء ؛ وتدابر أهل الدين ، وصاروا شيعاً ، يكفر بعضهم بعضاً ؛ أما أنتم ، فلاخلاف بينكم فى الدين ولا اختلاف ؛ وقد اتسعت صدوركم ، ولم تتبعوا نزعات المضلين باسم الدين . . . . الخ » .

وليس أدل على ما للأزهرمن مكانةسامية ، من قول الزعيم الكبير « محمد على جناح » عند ماطلب إليه ، أن يكتب لأصدقائه ، داخل الهند ، يوصيهم بالبعثة ويسألهم أن يعاونوها أدبياً .

« إن اسم الأزهر عظيم جليل ؛ وهو اسم سيشق الطريق أمامكم فسيحاً إلى جميع أغراضكم التى ترمون إليها ؛ فإن روعته فى القلوب ، واحترامه فى النفوس ، كفيلان بذلك » .

وقد بلغ من تقدير إخواننا المسلمين فى الهند ، للأزهر وبعثته ، أن قررت جمعية « إسلام سيفا سماج » فى مستهل بعثتنا ، أن تهدى المدالية الذهبية إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ؛ وهى المدالية السنوية التى تهديها الجمعية فى يوم عيد الفطر المبارك ، إلى خير من أبلى فى خدمة الاسلام ، فى خلال العام . وقد رأت الجمعية ، أن العمل الذى قام به الأستاذ الأكبر ، من إيفاد هذه البعثة ، مضافاً إلى جلائل أعماله فى خدمة الإسلام ، يجعل فضيلته خير مستحق لهذه المدالية .. وقد أهديت مدالية هذه الجمعية فى العام الماضى ، إلى « حضرة صاحب السمو العالى نظام حيدر آباد » .

وقد آثرنا أن ننشر فيما يلى ، فقرات قصيرة ، مما جاء على ألسنة بعض الخطباء ، من تقدير للأزهر ومكانته فى الهند :

— ١ —

« نحن وإن بعدت الشقة بيننا ، ولم يسبق لنا باللقاء عهد ؛ فلحمة العلم والأدب تجمعنا ، ولحمة العلم أقوى من لحمة النسب . . . ولعل هذه أول النهضات العربية ، فى العالم الاسلامى ، منذ قرون خالية . ومزيتكم على جميع الأقطار الاسلامية جلية ؛ ومن ذا لايعرف فضائل الأزهر ، الذى كان من أجل مراكز العلم فى الزمن الغابر ؛ وسيكون، إن شاء الله ، من أشرق الجامعات العلمية فى العصر الحاضر » . [من خطاب (دائرة المعارف) بحيدر آباد]

— ٢ —

« قد زادنا سروراً ، أنكم ما ركبتم البحار إلا لنا ، ولتوثيق عرا المودة بين المسلمين ، وتعارف الأزهر وطلابه، مع المعاهد العلمية فى الهند، وطلبتها البائسين؛ ولإحكام أواصر الرابطة الإسلامية ، التى لعبت يد الحدثان بأوصالها ؛ فما أسعد حظنا، حيث نلنا بغيتنا، وظفرنا بأمنيتنا ؛ فذلك ما كنا نبغى، فإن المسلمين لن ينجحوا أبداً فى حياتهم ، ولا نظامهم ، ولا اقتصادهم ، إلا إذا استمسكوا بعروة الوحدة الإسلامية استمساكا ، وعضوا عليها بالنواجز . نحن الطلبة — وإن ربتنا الهند ونشأنا فيها — جد مولعين بالعلوم العربية والإسلامية ؛ ولكن ، من الأسف ، أن معاهدنا العربية الهندية، لم تزل غير كافية لسد ما نحتاج إليه ؛ وظروفنا ما وسعتنا أن نسافر إلى البلاد العربية ، ونستقى من مناهج علومها العذبة لكوننا من أهل بقعة ليس فيها إلا البؤس والشقاء ؛ فرجاؤنا أن نلفت أنظاركم إلينا ، وأن تبذلوا جهدكم — لدى مشيخة الأزهر — أن تذلل لنا العقبات ، التى تحول بيننا ، وبين الارتشاف من مناهل الأزهر العذبة . . . » . [من خطاب الطلبة فى (ندوة العلماء) بمدينة لكنو]

— ٣ —

« لاريب أن الأزهر هو مركزنا المظيم ، وعاصمة العلوم وحصنها . وأن « الأزهر » و « فرنجى محل » بينهما مناسبة عظيمة فى نشر العلوم وخدمتها . لا نحسبكم ضيوفنا بل أنتم أساتذتنا ومرجع آمالنا . . . » . [من خطاب الترحيب فى «فرنجى محل» بمدينة لكنو]

— ٤ —

« إنكم أيها السادة تمثلون أقدم جامعة فى العالم ، كانت وماتزال منبع العلم والنور، ألا وهى الجامعة الأزهرية . فأنتم رسل المحبة ، والنائبون عن طبقات المتعلمين المثقفين فى مصر . لقد فتحتم فتحاً جديداً بزيارتكم إخوانكم المسلمين هنا . جئتم لا كتشاف طرق التعليم ، جئتم تعلمون

وتستفيدون ، جئتم لتروا ما يمكنكم الأخـذ به من أساليبنا ، كما جئتم إلى بلادنا لتلقوا عليها ، ولمصلحتها ، ضوء العلم والعرفان ، الذى اقتبستموه من جامعتكم العظيمة . . . » .

[من خطاب جمعية مسلمى البنجاب بمدينة كراتشى]

— ٥ —

« إن زيارة البعثة الأزهرية إلى بلادنا لزيارة ميمونة ، لاسيما فى ذلك الوقت الذى ضربت فيه بلادكم السعيدة بسهم وافر فى العلم والسياسة . فإن مصر بموقعها : ملتقى ثقافتى الشرق والغرب ، وهى الحصن الحصين للغة العربية ،التى هى اللغة الدينية للعالم الاسلامى كافة . وكانت الهند ولاتزال تتطلع إلى بلادكم بحثاً عن كنوز الدين وثقافته ،التى مابرحت مصر تغذى بها العالم أجمع . . » .

[من خطاب جمعية التاج الاسلامية للنشر بلاهور]

— ٦ —

« لقد جئتم إلينا من أقدم جامعات العالم — من الجامعة الأزهرية التى سلخت إلى اليوم من حياتها ألف عام — وإن صيت جامعتكم العظيمة، التى هى أثر من آثار الفن الإسلامى ، ومركز من مراكز الثقافة ، قد جاب الآفاق، وأصبح ذائعا فى دوائر العلم والآداب، فى الشرق والغرب . فبينما كانت أوربا غارقة فى محيط الجهالة ، كانت الجامعة الأزهرية العظيمة مناراً، يشع بضوئه العلمى المنتشر فى كافة الأقطار ، فكان هاديا للضالين فى ظلمات التعصب الدينى وضيق التفكير ؛ وإن الأزهر اليوم لهو الجامعة الدينية الوحيدة التى تجتذب الطلبة من كافة أنحاء المعمور . كما أنها الجامعة التى بزت سائر الجامعات ، فى الإعراب عن الرأى الإسلامى العام ، والعقيدة الإسلامية الخالصة . . . » .

[من خطاب حزب الله فى بهاول بور]

— ٧ —

« لقد شرفتم الأمة الهندية بقدومكم إلى هذه البلاد النائية ، ، إحياء لذكرى الماضى الذهبى القديم ، وتجديداً لروابط الأخوة الإسلامية . فنزلتم بأرضنا تحملون رسالة وادى النيل ومصر الشقيقة ، إلى الهند ومسلميها : إخوانكم فى الله والدين . . . » .

[من خطاب طلبة الكلية الطبية بدلهى]

مكانة مصر الأدبية

إن الطلبة فى الهند ليشعرون ، من قرارة أنفسهم ، شعوراً عميقاً بما لمصر من المكانة الأدبية ، وما لأهلها من قدم راسخة ، وقدرة فائقة فى العلوم والمعارف . فكم رأينا من الطلبة فى كافة أنحاء الهند — من يحنون شوقا ، و يحترقون شغفاً بمصر وأزهرها ، و يتطلعون إلى الارتشاف من معين علومها . وكم رأينا من تفيض أعينهم بالدمع ، حزنا على أنهم لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم فى مصر ، إذا هم قصدوها لطلب العلم .

ولقد بلغ من شغف الطلبة وشوقهم إلى مصر وأهلها ، ورغبتهم فى الاطلاع على أحوالها ، أنهم كانوا يتقدمون إلينا مبادرين ، ليأخذوا وعداً من أعضاء البعثة ، بمحاضرات على شئون مصر ، فى جميع نواحى الحياة ؛ قائلين إنهم أحق بذلك من غيرهم ، لأن أهل العلم بعضهم أولى ببعض . وقد كان لهم فى أكثر الأحيان ما أرادوا

أما تهافت الطلبة ، على سماع المحاضرات العامة ، والخطب الشاملة من أعضاء البعثة ، فحدث عنه . وكم طلب إلينا طلبة الجامعات مقابلات خاصة ليستفسروا منا عن بعض ما أرتج عليهم من أحوال مصر ، مما لا تتسع له المحاضرات العامة .

وقد اهتم كثير من الجامعات الإسلامية ، وكذلك المدارس الخاصة بأبناء المسلمين ، بدعوة البعثة ليعرضوا عليها نواحى نشاطهم فى ترقية التعليم ، من ناحيتيه الدينية والعربية .

فمن ذلك أن الجامعة الملّية بدلهى ، قد عرضت علينا ما تبذله من جهود فى سبيل ترقية اللغة العربية فيها ؛ وقد تذاكرنا مع ناظم الجامعة (الدكتور زاكر حسين) ، وتبادلنا معه المذكرات فيما يمكن أن يقوم بين جامعته والجامعة الأزهرية من صلات ثقافية .

ومن ذلك أيضاً أن جامعة عليكرة ، طلبت إلى البعثة أن تضع لها منهاجا كفيلا بترقية الدراسات الدينية . فوعدت البعثة بأن ترفع هذا الرجاء — بعد عودتها — إلى رياسة الجامعة الأزهرية ؛ وذلك لأن الوقت لم يكن كافيا للمناقشة والمذاكرة .

ومن ذلك أيضاً أن (خان بهادور الدكتور محمد حسين) ، قد أنشأ بمدينة (دهرادون) مدرسة يعمل فيها على إعداد طلبة الهند ، لنيل شهادة كمبردج العليا Senior Cambridge التى تؤهل

الطلبة للانتساب إلى الجامعات البريطانية رأساً، دون التقيد بمناهج الهند الجامعية، التى لا تعترف الجامعات الإنجليزية، بمساواتها لمثيلاتها من الجامعات البريطانية، فى الدرجات العلمية.
وهو بذلك يوفر على طلبة الهند، الذين يعتزمون السفر إلى انجلترا، ثلاث سنوات أو أربعاً من سنى حياتهم.

تقدم إلينا هذا الرجل فعرض علينا أن نضع له منهجا للعلوم الدينية والعربية، يستطيع به الطالب دخول كليات الأزهر رأسا، دون أن يقف فى سبيله ما يقف فى سبيل الطالب الهندى العادى، وحتى يوفر على أبناء بلده، ذلك الزمن الذى يقضونه فى الدراسات الدينية، التى قد لا تساير مناهج الأزهر.

وهو أمر لو تم لكان من أحسن الأمور، وأعمقها أثراً، وأنفعها للإسلام والمسلمين؛ لا سيما وأن طبقة الطلبة فى مدرسته ينتمون إلى أسر طيبة؛ وللدكتور محمد حسين آمال كبار فى أن يخرّج من المدرسة التى يشير بها — وما يتلوها من إكمال للدراسة بالأزهر — طبقة من الوعاظ يعودون إلى بلادهم حاملين لواء التبليغ بالدين الإسلامى، تبليغاً مطبوعاً بالطابع الأزهرى، فيكونون أقدر على النفع، وأبعد عن اتخاذ علمهم شبا كاً لاصطياد المال، نظراً لطيب محتدهم وسمو أخلاقهم. وقد وعدنا الدكتور محمد حسين بأن نبحث هذه الحال فى مصر، ولعله يحضر إليها قريبا المذاكرة والاتفاق.

هذا إلى أن معظم الجامعات الاسلامية، وما دونها من المؤسسات العلمية، طلب الحصول على مناهج الأزهر للاستنارة بها فى إصلاح مناهجها.

وقبل أن نختم هذا الفصل، يجدر بنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى إخواننا المسلمين فى الهند، على ما خصونا به من حفاوة، ونعتذر إلى كل من لم يتسع وقت البعثة لإجابة دعوته، ولو أجابت البعثة كل الدعوات التى وجهت إليها، أو سافرت إلى جميع المدن التى دعيت لزيارتها، لاستغرقت البعثة سنوات لا أشهراً..

وقد قضت البعثة فى الهند حوالى مئة يوم، زارت فى خلالها ٥٠ مدرسة وجامعة، وتحدثت فى جلسات خاصة إلى ٣٠ من رجالات الهند الممتازين، وألقى أعضاء البعثة ٣٢ محاضرة عامة، كما أجابوا عدداً من الدعوات الخاصة والعامة، كانت كلها مجالا لتبادل الرأى فى خلال التبسط فى

الحديث . وزارت البعثة ٢٠ مكاناً أثرياً إسلامياً ، ولا يبرر قلة هذا العدد — مع كثرة الآثار الإسلامية بالهند — إلا أن زيارة الآثار لم تكن ضمن المهمة التى أوفدت من أجلها البعثة إلى الهند .

وقد أدى أعضاء البعثة صلاة الجمعة فى المساجد العامة ، اثنتى عشرة مرة ، فى عشرة مساجد، فى عشر مدن كبيرة مختلفة ، كما حضرت صلاة العيد فى الميدان العام ، مرة واحدة فى بومباى ، وثانية فى كلكتا .

دراسات البعثة

١ — الحال الاجتماعية والخلقية :

الهند شبه جزيرة من الأرض ناتئ نحو الجنوب من وسط آسيا ، يمتد من خط ١٨ إلى خط ٣٧ شمالا ، ومن خط ٦٥ إلى خط ١٠٠ شرقا ؛ فهى بذلك تشمل ٢٩ درجة من درجات العرض ، و ٣٥ درجة من درجات الطول ، وتبلغ مساحتها ٦٧٩ ر٨٠٨ ر١ ميلا مربعاً .

فإذا وزنت الهند بغيرها من البلاد ، من حيث المساحة ، بلغت ١٥ مرة قدر مساحة الجزر البريطانية ، أو أكبر من نصف قارة أوربا ؛ وإذا وازنا بينها وبين مصر ، بلغت مساحة الهند حوالى ١٤٠ مرة لمساحة المنزرع من القطر المصرى .

فالهند بذلك بلاد مترامية الأطراف ، متباينة فى أنواع المناخ ؛ فبينما تكلل الثلوج رءوس الجبال فى الشمال ، إذا بالأودية الشمالية ، ذات جو قارّى ، شديد الحرارة صيفا ، قارص البرد شتاء ؛ وإذا ما اتجهنا نحو الجنوب ، قاربنا المنطقة الشديدة الحرارة ، فى الصيف والشتاء . وقد كان لهذه المناخات المتباينة أثرها فى طبيعة السكان ، وأخلاقهم ، وعاداتهم ، ودياناتهم ، ولغاتهم .

وقد قسمت الهند إداريا إلى مجموعتين : —

المجموعة الاولى : أقاليم يحكمها البريطانيون مباشرة ، ولكل إقليم منها حاكم بريطانى يستمد سلطته من نائب الملك ، وقد نص الدستور الجديد على أن تقوم فى هذه الولايات برلمانات مستقلة كل الاستقلال فى عملها ، لها مالغيرها من البرلمانات من سلطة ؛ إلا أن حاكم المقاطعة (الرئيس الأعلى لهذه الدولة الصغيرة) ، قد أكسبه الدستور حقوقا يستطيع أن يباشرها دون رغبة البرلمان .

ويقول البريطانيون فى ذلك : إن هذا الحق قد كفل للحاكم العام ، ليستطيع به — عند الاقتضاء — أن يحافظ على صوالح الأقليات الدينية فى المقاطعة التى يحكمها . وتبلغ مساحة هذا النوع أكثر من ثلثى مساحة الهند ، وقد قسم إلى ١٥ مقاطعة : منها ١١ كبيرة ، تنطبق عليها النظم البرلمانية كاملة ، و ٤ أقل أهمية من هذه ، ولذلك وضعت لها أنظمة برلمانية خاصة .

وفيما يلى بيان بالمقاطعات الهامة مرتبة وَفْقَ مساحتها :

برما	وتبلغ	مساحتها	٢٣٢ر٤٩٢	ميلا	مربعا
بومباى	»	»	١٥١ر٦٧٣	»	»
مدراس	»	»	١٤٣ر٨٧٠	»	»
بلوخستان	»	»	١٣٤ر٦٣٨	»	»
الولايات الوسطى و برار	»	»	١٣١ر٠٩٥	»	»
الولايات المتحدة	»	»	١١٢ر١٩١	»	»
بحار وأوريسا	»	»	١١١ر٧٠٢	»	»
بنجاب	»	»	١٠٥ر٠٢٠	»	»
بنغال	»	»	٨٢ر٩٥٥	»	»
آسام	»	»	٦٧ر٣٣٤	»	»
مقاطعة الحدود الشمالية الغربية	»	»	٣٦ر٣٥٦	»	»

وحال هذه الأقسام الإدارية ، دائمة التغير ، وفقاً لمقتضيات الظروف ؛ من ذلك :

١ — نص الدستور الجديد على أن تستقل (برما) عن الهند ، و يعين لها نائب عن الملك .

٢ — قسمت (بومباى) فى العام الماضى مقاطعتين : بومباى ، والسند ؛ ولكل منهما حاكم .

٣ — اعترف بإقليم (برار) لحضرة صاحب السمو العالى « نظام حيدر آباد » ، وتديره الحكومة البريطانية بالنيابة عنه ، مقابل دخل سنوى ثابت ، تدفعه الحكومة البريطانية لسمو النظام .

المجموعة الثانية :

أما المجموعة الثانية ، فولايات قد نزلت الحكومة البريطانية عن حكمها لأمراء شبه مستقلين ، ونظمت صلاتها بهؤلاء على أحد الوجهين الآتيين :

أولا : أمراء يستمدون سلطتهم من نائب الملك رأساً ؛ وعددهم ٣٣ أميراً ؛ ومن أهم إماراتهم :

ا — ولايات يحكمها أمراء من المسلمين :

(١) حيدر آباد ، ومساحتها ٨٣ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها ١٤ مليونا ونصف مليون من الأنفس ، وتبلغ إيرادات الحكومة فيها حوالى (٨ كورور) ، أى ٦ مليون جنيه مصرى تقريباً .

(٢) بهاول بور ، وتبلغ مساحتها ١٦ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها ٩٨٥ ألف نفس ، وتبلغ إيرادات الحكومة فيها (٤٥ لاك) ، أى ثلث مليون جنيه مصرى تقريباً .

(٣) بهوبال ، وتبلغ مساحتها سبعة آلاف ميل مربع ، وعدد سكانها ٧٣٠ ألف نفس ، و إيرادات الحكومة فيها (٨٠ لاك) ، أى ٦٠٠ ألف جنيه مصرى تقريباً.

(٤) رامبورر ، وتبلغ مساحتها ٨٩٠ ميلا فقط ، وعدد سكانها ٤٦٠ ألف نفس ، و إيرادات الحكومة فيها (٤٩ لاك) أى ٣٦٧ ألف جنيه مصرى تقريباً .

ب — ولايات يحكمها أمراء من غير المسلمين :

الولايـــــة	مساحتها بالميل	عدد سكانها	دخل الحكومة بالروبية
ميسور	٢٩ر٥٠٠	٦ر٥٥٨ر٠٠٠	٣ر٤٥ر٠٠ر٠٠٠
ترافانكور	٧ر٦٠٠	٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٤٤ر٠٠ر٠٠٠
كشمير	٨٦ر٠٠٠	٣ر٦٤٥ر٠٠٠	٢ر٢٣ر٠٠ر٠٠٠
جوايلور	٢٦ر٠٠٠	٣ر٥٠٠ر٠٠٠	٢ر٤٢ر٠٠ر٠٠٠
جيبور	١٥ر٥٠٠	٢ر٦٣٠ر٠٠٠	١ر٢٠ر٠٠ر٠٠٠
بارودا	٨ر٠٠٠	٢ر٤٤٥ر٠٠٠	٢ر٦٠ر٠٠ر٠٠٠
جودبور	٣٥ر٠٠٠	٢ر١٢٥ر٠٠٠	١ر٤٢ر٠٠ر٠٠٠
باتيالا	٦ر٠٠٠	١ر٦٢٥ر٠٠٠	١ر٤٥ر٠٠ر٠٠٠
ريوا	١٣ر٠٠٠	١ر٥٩٠ر٠٠٠	٦٠ر٠٠ر٠٠٠
يود ايبور	١٢ر٠٠	١ر٥٧٠ر٠٠٠	٦٧ر٠٠ر٠٠٠
اندور	١٠ر٠٠٠	١ر٣٣٠ر٠٠٠	١ر٢٤ر٠٠ر٠٠٠
كوشين	١ر٤٠٠	١ر٢٠٠ر٠٠٠	٩٠ر٠٠ر٠٠٠
كولهابور	٣ر٠٠٠	٩٦٠ر٠٠٠	٧٧ر٠٠ر٠٠٠
بيكانير	٢٣ر٠٠٠	٩٤٠ر٠٠٠	١ر٢١ر٠٠ر٠٠٠
كوتا	٥ر٠٠	٦٨٥ر٠٠٠	٥٢ر٠٠ر٠٠٠

ثانيا: ويلى ذلك مئات من الإمارات أقل من هذه شأناً ، يستمد معظم أمرائها سلطتهم من الحاكم العام للمقاطعة المتاخمة ، ويتمتع أمراء هذه الولايات بسلطة أوتوقراطية ، وقد يركن البعض منهم إلى استشارة شعبه — بين آن وآخر — عن طريق مجلس يعينه الأمير ، يسمى مجلس الشورى .

لغات الهند

لما كانت الهند بلاداً مترامية الأطراف ، متعددة الأجناس ، فقد وجب أن تكون كذلك متعددة اللغات ؛ إلا أن اللغات فى الهند قد تعددت تعدداً لا مثيل له فى أى بلد آخر على وجه المعمور ، وذلك لأسباب اجتماعية ، سنوردها فى الفصول المقبلة .

وتنقسم اللغات الوطنية فى الهند إلى ستة مجاميع ؛ تتفرع من كل مجموعة عدة لغات :

١ — لغات الملاى : وعددها ١٢ لغة ، ويتكلمها ٧٥٠ر٠٠٠ نفس من السكان ، يقطنون برما وآسام وجزائر نيكوبار .

٢ — لغات المندا : وعددها ٧ لغات ، ويتكلمها ٤ر٦٠٠ر٠٠٠ نفس فى آسام وبنغال وبحار .

٣ — لغات التبت — برما ، وعددها ١٢٨ لغة ، ويتكلمها ١٢ر٩٩٠ر٠٠٠ نفس فى آسام وبرما وبنغال .

٤ — لغات صينية الأصل : وعددها ٢٨ لغة ، ويتكلمها ٢ر٣٧٠ر٠٠٠ نفس ، فى برما وآسام .

٥ — اللغات الدرافيدية : وعددها ١٤ لغة ، ومن أهمها :

ا — التأميل : ويتكلمها ٣٠ر٤٠٠ر٠٠٠ نفس فى مدراس وميسور .

ب — الملايام : ويتكلمها ٩ر١٥٠ر٠٠٠ نفساً فى مدراس .

حـ — السكنارى : ويتكلمها ١١ر٢٠٠ر٠٠٠ نفس فى بومباى وميسور ومدراس وحيدرآباد .

د — التليجو : ويتكلمها ٢٦ر٣٧٠ر٠٠٠ نفس فى مدراس وحيدرآباد وميسور .

٦ — اللغات الأوربية الهندية : وعددها ٢٧ لغة ، ومن أهمها : —

ا — ثمان لغات فارسية الأصل : ويتكلمها ٣ر٧٩٠ر٠٠٠ نفس فى مقاطعة الحدود وبلوخستان وكشمير .

ب — لغات السندى ، ويتكلمها ٣ر٧٣٠ر٠٠٠ نفس فى السند .

حـ — لغتان — بنجابى ولندا — ويتكلمهما ٢٤ر٦٦٠ر٠٠٠ نفس فى بنجاب وكشمير والحدود والسند ،

ى — لغتان — مارائى وكونكانى — ويتكلمها ٠٠٠ر٣٦ر٢١ نفس فى بومباى والولايات الوسطى وبرار وحيدر آباد .

هـ — ثلاث لغات هندوستانية (أردو) ويتكلمها ٠٠٠ر٢٥٠ر١٢١ نفس فى الولايات المتحدة والولايات الوسطى والهند الوسطى وبنجاب وراجبوتانا .

و — لغة أوريا ؛ ويتكلمها ٠٠٠ر١٩٠ر١١ نفس فى أوريسا ومدراس .

ز — لغة بنغالى ؛ ويتكلمها ٠٠٠ر٥٠٠ر٥٣ نفس فى البنغال وآسام .

عدد اللغات

٢٧ — ٢٦٥ مليونا من الأنفس يتكلمون اللغات الهندية - الأوروبية

١٤ — ٧٩ مليونا يتكلمون اللغات الدرافيدية

١٦٥ — ١٦٫٦ مليونا - تبتية . صينية

١٩ — ٤٫٥ مليونا استرالية

٠٫٥ مليون أوروبية

٠٫٣ ٫ ٫ أسيوية

عدد اللغات الوطنية ٢٢٥

ولما كانت لغات الهند متعددة ، حتى فى الإقليم الواحد ؛ حيث يلجأ أهل الديانة الواحدة إلى لغة واحدة ، فى حين يلجأ أهل ديانة أخرى إلى لغة أخرى ، فقد لزم أن يكون التعليم — الذى تديره حكومة الهند (البريطانية) — بلغة متحدة بين القوم .

لذلك لجأت الحكومة إلى فرض اللغة الإنجليزية ، كوسيلة لتلقى العلوم بالمدارس الثانوية والعالية والجامعات ، كما أصبحت تلك اللغة رسمية فى المكاتبات الحكومية وغيرها ، وهى لغة

التجارة أيضاً ؛ ثم هى لغة التحدث بين المثقفين إذا ما اختلفت لغاتهم الأصلية ؛ لكل أولئك انتشرت اللغة الانجليزية فى الهند ــ وخاصة فى المدن الكبرى ، وعلى الأخص بين البيئات المثقفة ــ انتشاراً عظيما .

ومما تحسن الإشارة إليه هنا ، أن لغات الهند المختلفة قد اقتبست ، على مر السنين ، من اللغة الإنجليزية ، بحيث أصبحت نسبتها فى لغة الأردو مثلا ، لا تقل عن ١٠ ٪ .

كما تحسن الإشارة كذلك إلى أن لغة الأردو هذه — وهى اللغة التى يتكلمها عامة المسلمين فى الهند الشمالية على الأخص — كانت فى الأصل لغة الفاتحين المسلمين الذين انحدروا إلى الهند من الشمال ؛ ولذلك كان فيها كثير من اللغات الأجنبية ، بحيث قيل لنا : إن بها من اللغة الفارسية ما لا يقل عن ٣٥ ٪ ، ومن اللغة العربية مالا يقل عن ٣٠ ٪ .

أما اللغة العربية فإنها تدرس فى الجامعات كلغة جامعية (أكاديمية) ، لنيل الاجازات العليا فى الآداب ، على نحو ما تدرس اللغتان القديمتان : اليونانية واللاتينية فى جامعات أوروبا ، مثلها فى ذلك مثل اللغة الفارسية فى الهند .

ويعنى كثير من الطلبة المسلمين الذين يتقدمون لنيل إجازات الآداب (بكالوريوس وماجستير وحقوق ودكتوراه) بدراسة اللغة العربية أو الفارسية للتقدم للامتحان ، على أن كثيراً منهم قد عنى باللغة العربية باعتبارها لغة « القرآن الكريم » و « الحديث الشريف » ، كما عنى البعض باللغة الفارسية استقصاء للأدب الفارسى (وله فى الهند مكانة عظمى بين كبار المثقفين) . إلا أن المجال لايزال واسعاً أمام الأمم التى تتكلم اللغة العربية : كمصر وبلاد العرب ، لنشر اللغة العربية ببلاد الهند نشراً يبعثها من سباتها العميق ، ويثير فى نفوس إخواننا الهنديين الرغبة فى دراستها كلغة كلامية ، فضلا عن كونها لغة جامعية (أكاديمية) .

وقد شاهدنا من عامة المثقفين فى الهند رغبة أكيدة فى تعلم اللغة العربية على وجهها الذى تدرس به الآن فى مصر ، ولكن تعوزهم الوسائل ، التى سنفرد بابا لبحثها فى هذا التقرير .

ديانات الهند

كما أن الهند أخلاط من الشعوب واللغات ، فإنها كذلك أخلاط من الأديان ، والدين فى الهند محور أساسى للتقسيم الاجتماعى ، وليس أدل على ذلك من أن الديانتين السائدتين فى الهند (وهما : الهندوسية ، والإسلام) تختلفان اختلافاً جوهرياً فى معظم شئون الحياة ، مما حفز الحكومة إلى فصل معتنقى هاتين الديانتين فى كثير من الشئون الاجتماعية .

ولنضرب لذلك مثلا : ما كنا نشاهده فى كل محطة من محطات سكة الحديد ، وهو وجود موردين للماء : أحدهما للمسلمين وثانيهما للهندوس ، ومقصفين: أحدهما للمسلمين ، وثانيهما للهندوس ، فضلا عن مقصف ثالث للجميع ، لايتردد عليه عادة إلا السائحون والموظفون البريطانيون فى أثناء تنقلاتهم .

ولذلك آثرنا الكلام على ديانات الهند قبل الحال الاجتماعية .

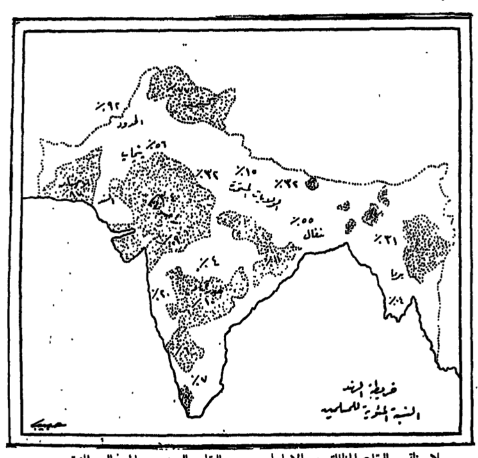
تتكون الكثرة الدينية فى الهند من الهندوس ، إذ يبلغ عددهم ١٨٩ مليوناً من الأنفس بنسبة ٥٤ ٪ من السكان ، يضاف إليهم من الناحية السياسية ٥٠ مليونا من المنبوذين ، بنسبة ١٤٫٥ ٪ ، فتكون نسبتهم مجتمعين ٦٨٫٥ ٪ ، وهم منتشرون فى كافة أنحاء الهند ، ويكوّنون السواد الأعظم من سكانها .

أما المسلمون فيبلغ عددهم ٧٨ مليونا من الأنفس بنسبة ٢٢٫٥ ٪ من السكان ، وهم بذلك يكونون قلة فى الهند ، إلا أن نسبتهم تزيد عن النصف فى الولايات الشمالية ، فيكوّنون بذلك كثرة قد تكون غامرة فى بعض الأقاليم ، فى حين تتضاءل نسبتهم كثيراً فى الجنوب ، بحيث لايكونون إلا قلة ضئيلة .

وفيما يلى بيان بنسبة المسلمين فى ولايات الهند المختلفة ، مرتبة وفق ارتفاع النسبة المئوية للمسلمين:

مقاطعة الحدود الشمالية الغربية	٩١٫٨ ٪
بلوخستان	٨٧٫٤ ٪
البنجاب	٥٦٫٥ ٪

البنغال	٥٤ر٨	٪
دلهى (القاطعة)	٣٢ر٥	٪
آسام	٣٢	٪
جزر أندمان ونيكوبار بخليج بنغالة	٢٢ر٨	٪
بومباى (بما فى ذلك السند)	٢٠ر٤	٪
أجمير ومروار	١٧ر٣	٪
الولايات المتحدة	١٤ر٨	٪
بحار وأوريسا	١١ر٣	٪
كرج	٨ر٤	٪
مدراس	٧	٪
الولايات الوسطى و برار	٤ر٤	٪
برما	٤	٪



ملاحظة : البقاع المظللة هى الامارات والبقاع البيض هى الهند البريطانية

أما إمارات الهند ، فقد أخذت — فى الإحصاءات — كمجموعة ، ونسبة المسلمين فيها مجتمعة ١٣٫٥ ./. ، إلا أن الإمارات الشمالية تكثر فيها نسبة المسلمين كما تكثر فى الولايات ؛ فمنها كشمير ونسبة المسلمين فيها ٧٧ ./. .

وقد لفت نظرنا الاختلاف الكبير فى نسبة المسلمين المئوية بين إقليم وآخر ، ودلت دراستنا فى ذلك ، على أن الإسلام لم ينتشر فى الهند مع الفتوحات ، بل إن ملوك المسلمين لم ينصرفوا إلى نشر الدين الإسلامى بين الهندوس والبوذيين وغيرهم ، عملاً بحرية الدين التى جرى عليها الإسلام .

ومن عجب أن سمعنا من بعض زعماء المسلمين فى الهند أن الإسلام قد انتشر فى الأقاليم التى لم تخضع لحكم المسلمين المباشر ، بأسرع مما انتشر فى الأقاليم التى خضعت لذلك الحكم ، مما يدل على أن الإسلام قد انساب إلى القلوب فى رفق ولين ، لا إكراه فيه على الإطلاق .

ويتحدث المسلمون فى الهند على أحسن الوسائل للانتفاع بكثرتهم النسبية فى الأقاليم الشمالية .

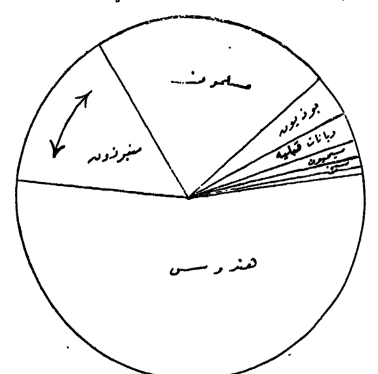
ومن خيرة المتحدثين على ذلك « السير محمد إقبال » فهو يقول بضرورة تأسيس مملكة باكستان (وهى مملكة ستتألف من بنجاب وكشمير ومقاطعة الحدود وبلوخستان) حيث تعيد للإسلام مجده فى تلك البلاد ، كما يتحدث كذلك بإمكان تبادل السكان بين مملكة باكستان و بقية ممالك الهند فيهاجر الهنديون المسلمون من المقاطعات التى يكونون فيها قلة ، إلى تلك المملكة الجديدة ، لقاء أن يهاجر منها الهندوس وغيرهم إلى المقاطعات الأخر . ويؤمن كثير من قادة الفكر بالهند بما يراه السير محمد إقبال .

أما بقية الديانات بالهند ، فتكون قلة ضئيلة نلخصها فيما يلى :

البوذيون	٣٫٧ ./.
الديانات القبلية	٢٫٥ ./.
المسيحيون	١٫٨ ./.
السيخ	١٫٢ ./.

وقبل أن ننتقل من بحث الديانات ، يجدر بنا أن نذكر أن النسبة المئوية لهذه الديانات لم تكن كذلك فى الماضى ، بل طرأ عليها تعديل يذكر فى خلال الخمسين السنة الأخيرة ، ويدل الاختلاف فى نسبة تزايد السكان فى كل بيئة من هذه البيئات الدينية على ذلك ، فقد كانت نسبة تكاثر

الهندوس ٢٧ ٪ فى خلال الخمسين السنة الماضية ، فى حين كانت نسبة تكاثر المسلمين ٥٥ ٪ .



ويعزو الاحصائيون زيادة النسبة بين المسلمين عنها بين الهندوس إلى عاملين هما :

أولا — تعدد الزوجات ، وجواز زواج الأرامل في الإسلام ، فى حين أن الديانة الهندوسية تمنع تعدد الزوجات وتحرم زواج الأرملة ، بل إن الأرملة — كانت إلى عهد قريب — تحرق بعد وفاة زوجها ، فجاءت الحكومة البريطانية ومنعت هذه العادة ، ولكن ظلت الأرملة قصية لايجوز زواجها .

وتدل الإحصاءات الرسمية على أن نسبة الترمل بين الهندوس تبلغ ١٦٫٣٪ من مجموع النساء فى حين تبلغ هذه النسبة ١٢٫٨ ٪ فقط بين المسلمات ، على أن تقارب النسبة بين الفريقين يعلل بعدم ميل المسلمين بالهند إلى تعديد الزوجات جرياً على التقاليد القديمة لتلك البلاد . وثمت ظاهرة مهمة يجب تسجيلها فى هذا المقام ، هى أن النسبة المئوية للأرامل بين سنى ١٥، ٥٠ هى ١٩ ٪ بين الهندوس يقابلها ١٤ ٪ فقط بين المسلمين .

ومن الظواهر الاجتماعية فى الهند زواج القاصرات ، وقد بلغ عدد المطلقات منهن ٥٥ فى الألف بين الهندوس ، يقابلها ٣٨ فى الألف بين المسلمات .

ثانياً — اهتمام المسلمين بتبليغ الدين الإسلامى بين معتنقى الديانات الأخر .

أما نسبة التكاثر بين أهل الديانات الأخر ، فلا يلفت النظر منها إلا نسبة التكاثر بين المسيحيين ؛ فقد بلغت خلال الخمسين السنة الأخيرة ٢٣٨ ٪ ، وهى نسبة لايبررها إلا نشاط جمعيات التبشير المسيحية المنتشرة فى كل مكان من الهند ، والتى تعمل ليل نهار على تحويل الهنود — وخاصة المنبوذين — إلى الديانة المسيحية .

المسلمون فى الهند

حالهم الدينية وتفرقهم إلى مذاهب وشيع

وقف الإسلام على حدود الهند بعد أن فتح بلاد السند وبلوخستان على يد محمد بن القاسم الثقفى ، ولم يتطرق المسلمون إلى داخل الهند إلا تجاراً مدة من الزمن .

وأول من فتح بلاد الهند من المسلمين هو يمين الدولة وأمين الملة « محمود بن سبكتكين الغزنوى » ؛ فقد طرق بلاد الهند بجند وافر من الممرات التى تصل الهند ببلاد الأفغان اليوم ، فكان فى ذلك مظفراً منصوراً ، ثم استمر خلفاؤه يغيرون على البلاد الهندية ويفتحون فيها ، ثم جاء إلى الهند ملوك من المغول تقذوا إلى تلك البلاد من ناحية كشمير ، وانسابوا فيها وصاروا سادتها ، ولكنهم ساروا على عادة الملوك المسلمين من ترك الأمم ومايدينون ، فلم يقهروا الوثنيين على الإسلام ؛ وكانت اللغة الفارسية لغة البلاط المغولى ، وأما سائر المسلمين فكانوا يتكلمون لغة « الأردو » ، أى لغة العسكر .

ولم يطل العهد بالمسلمين فى بلاد الهند حتى دبت فيهم عقارب الخلاف والتعصب المذهبى ، ومازالت هذه العوامل تعمل عملها حتى أصبحت بلاد الهند اليوم معرضاً لطوائف المسلمين المختلفة ، وقد تبع اختلافهم تخاذلهم وعداوة بعضهم لبعض .

ولو شئنا أن نصور حالهم تصويراً يقرب من الواقع ، لقلنا إنهم ينقسمون بصفة عامة إلى أهل سنة ، وإلى شيعة .

أهل السنة

فأما أهل السنة فهم : الحنفية ، والشافعية ، والمالكية ، والكثرة المطلقة للحنفية . وأهل المذاهب الثلاثة بينهم نزاع ، كل ينتصر لمذهبه ويتعصب له .

١ — أصحاب القرآن : وقد تفرع من أهل السنة جماعة نشزوا على المذاهب ، وقالوا : نحن أصحاب القرآن ؛ وهم لايقرون إلا بما صرح به القرآن ، وقد أهملوا ماجاء به الحديث .

٢ — أهل الحديث : ومن أهل السنة جماعة نشزوا على المذاهب الأربعة هم أهل الحديث ، وهم لا يقلدون الأئمة، وإنما يأخذون أحكام الدين من الكتاب والسنة مباشرة ؛ وقد كان زعيم هذه الفرقة المرحوم « حسن صديق خان » . ورأينا من أتباع هذه الطريقة الشيخ « خليل بن محمد الخزرجى » ببهوبال ، و « مولانا أبا الوفاء ثناء الله » فى أمرتسار ، وهو يصدر مجلة تخصصت لهذا المذهب والدفاع عنه ، ولكنه يألم من تفرق المسلمين وتعاديهم في الدين ؛ ومنهم أيضاً السيد « عطاء الرحمن » صاحب مدرسة أهل الحديث الرحمانية بدهلى.

الشيعة

أما الشيعة فهم أقسام ، منهم :

ا — الإثنا عشرية : وإمام مسجدهم فى بومباى الشيخ محمد حسن ، وهو أيضاً ممن يأسفون لتفرق المسلمين ؛ وينتمى إلى هذه الطائفة أغلب أهل إيران والعراق ، كما ينتمى إليها كثير من أهل أجرا ولكنو ، وهم لا يخالطون بقية المسلمين ؛ ولهم فى لكنو مدرسة تسمى مدرسة الواعظين ، سيأتى الكلام عليها فيما بعد .

وتقول هذه الطائفة بانحصار الخلافة فى على ، ثم فى ابنه الحسن ، ثم فى الحسين ، ثم فى على زين العابدين ، ثم فى محمد الباقر ابن على ، ثم في جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ثم فى موسى الرضى بن جعفر ، ثم فى على الرضى بن موسى ، ثم فى محمد الجواد بن على الرضى بن موسى ، ثم فى الحسن العسكرى ، ثم فى على بن الحسن العسكرى ، ثم فى الإمام المنتظر على بن الحسن العسكرى . وهم يقولون بتفضيل علىّ على سائر الصحابة كما يقولون إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا غاصبين للخلافة ، ويقعون فيهم

ب — البُهْرة : وهناك شيعة أخرى يقال لهم « البهرة » أو « البواهر » ، وهم الاسماعيلية ، وينقسمون إلى قسمين :

الأول : البهرة السليمانية ، وهم أتباع « أغا خان » ، وهم فى الهند وزنجبار والشام ، ولا يعرف أهل الشام منهم بالبهرة ، إنما هم إسماعيلية ؛ وهم بقية من الطائفة التى كانت تعرف بالفدائيين (الحشاشين) قديماً .

وعندهم أن «أغا خان» مقدس وما يمسه من إناء أو غيره يصير مقدساً ، ويتنافسون فى اقتنائه ، وله على أتباعه إتاوة ، ولا يردون له أمراً .

والثانى : البهرة الداودية ؛ وهم أتباع « مولانا طاهر سيف الدين » ، ويقيمون ببومباى

وكراتشي وجبل حراز باليمن وبعض جهات زنجبار؛ ومولانا طاهر سيف الدين صاحب كلمة نافذة عليهم، وهو عندهم معصوم لايخطىء، ولا يسأل عما يفعل . وهو يدير أوقاف الفرقة ويتصرف فيها كيفما شاء، وله على أتباعه إتاوة معينة؛ والبواهر يسهمون له فى ميراث الأموات، وهو — فى فرقته — عالم متين قل أن يوجد مثله .

السلفيون

ومن الفرق الإسلامية فى الهند السلفيون أو الوهابيون . وينظر إليهم أهل الفرق الأخر شزراً ويكفرونهم ، كما أن الوهابيين يكفرون كل من يقول بجواز التوسل أو الاستغاثة بسكان القبور .

الأحمدية

ومنهم جماعة الأحمدية ، أتباع « مرزا غلام أحمد القادياني » ، وهم فريقان : —

١ — فريق يقول إنه رسول يوحى إليه ، وإنه المسيح الموعود بدون تأويل ، وإن من شك فى صحة نبوته ورسالته ومسيحيته كافر . وإنه قد ألغى الجهاد وأوجب طاعة الحكام — ولو كانوا غير مسلمين — ومن فعل غير ذلك فهو غير مسلم ولا نجاة له فى الآخرة ، وهؤلاء هم المعروفون بالقاديانية .

٢ — وفريق آخر يقول : إنه كان مجدداً مصلحاً ، ولم يكن نبياً بالمعنى الاصطلاحى للنبوة ، ولكنه ملهم محدث ؛ وإنه كان يتبع دين الإسلام وتعاليمه ؛ أما النبوة التى ادعاها فهى النبوة المجازية ، ومع ذلك فلم يكن يتمسك بها ؛ أما الجهاد فإنه أبطله بالمعنى الذى يعرفه العامة ، وهو أن يخرج الرجل فيغتال المخالف له فى غير حرب على سبيل الغدر والخيانة ، كما أبطل الجهاد الذى يخرج فيه الرجل دون عدة ، وهؤلاء هم الأحمدية اللاهورية .

ومن أعظم خصومهم « السير محمد إقبال » فإنه يتهمهم بعدم الإخلاص السياسى .

أثر الاختلاف وحقيقته

ومع كل هذا الاختلاف بين طوائف المسلمين ، فإن لزعمائهم فيهم آمالاً كباراً ، فقد قال لنا الزعيم « محمد على جناح » : إن هذا الخلاف الواقع بين هذه الطوائف ليس إلا ميراثاً تاريخياً ورثوه عن آبائهم ، وعن الدعاة الذين أدخلوهم فى الدين الإسلامى ؛ ولكن إذا جد الجد كان المسلمون يداً واحدة على من سواهم .

والذى نلاحظه أن هذا التفرق الدينى بين طوائف المسلمين له أثر غير محمود فى حالهم الاجتماعية والعلمية والثقافية ، ذلك بأن تفرقهم يمنعهم من أن يتعاونوا على البر والتقوى ، فلا تمد طائفة من هذه الطوائف يداً إلى عمل خيرى تهم به طائفة أخرى ، مما قد يكون محتاجا إلى تعاون الأيدى ، والبذل بسخاء .

فلا تشترك هذه الطوائف فى مستشفى يعالج الفقراء ، ولا فى معهد علمى يثقف فيه أبناء المسلمين تثقيفاً عالياً فيخرج قادة الفكر وأهل الزعامة ، بل يعيش كل فريق فى محيط وأفق ، لا يضمان سواه .

ولو أنهم كانوا يداً واحدة على من عداهم ، متعاونين على البر والتقوى ، متجنبين الإثم والعدوان لكان لهم شأن غير ما نرى .

ولم يبعد عن الصواب من يقول : إن هذه الحال تحول دون تشجيع (الهندوس) على دخولهم فى دين الاسلام .

الحال العلمية والثقافيه

ما يزال الهند بلداً متأخراً فى التعليم العام ، إذ أن نسبة من يعرفون القراءة والكتابة — ممن فوق الخامسة سناً — لا يتجاوزون ٨٠ فى الألف ، وفق الاحصاء العام لسنة ١٩٣١ ، على أن السنوات الأخر كانت سنوات نشاط فى ميدان العلم بين كافة البيئات .

وفيما يلى بيان بنسبة التعليم بين البيئات المختلفة على ما كانت عليه سنة ١٩٣١ :—

٧٩٠	فى الألف	بين	البارسى	وهم يبلغون	٤	فى الألف من عامة السكان
٢٨٠	» »	»	المسيحيين	» »	١٨	» » » » »
٩٠	» »	»	السيخ	» »	١٣	» » » » »
٩٠	» »	»	البوذيين	» »	٣٧	» » » » »
٨٠	» »	»	الهندوس	» »	٦٨٥	» » » » »
٦٥	» »	»	المسلمين	» »	٢٢٥	» » » » »

البارسى ٧٩٠
اليهود
المسيحيون ٢٨٠
السيخ ٩٠
البوذيون ٩٠
الهندوس ٨٠
المسلمون ٦٥

ومما يلاحظ أن نسبة التعليم بين المسيحيين كبيرة نوعاً ما ، نظراً إلى أن جمعيات التبشير المسيحية تعنى بنشر التعليم بين البيئات التى تدعوها إلى اعتناق الدين المسيحى .

أما نسبة التعليم بين الهندوس — على ماهى واردة فى الإحصاء سابق الذكر — فإنها أقل من نسبة التعليم بين الطبقات المتوسطة والعليا من أصحاب هذه الديانة ؛ وذلك لأن الاحصاء قد جرى على اعتبار المنبوذين هندوساً ، فى حين أن التعليم بين المنبوذين منحط جداً ، فهم لا يقبلون عليه قليلا ولا كثيراً ، وذلك لعاملين :

العامل الأول : هو أن الأجيال المتعاقبة من هؤلاء قد نشأت على الأمية ، وقليل من أفلت فى الماضى من زمامها .

العامل الثانى : هو شعور المنبوذين أنفسهم بأنهم أحط درجة ، بل درجات ، من غيرهم من أبناء البلاد ، ولذلك إذا أرسل أبناؤهم إلى المدارس ، فإنهم يعانون آلام «النبذ» داخل جدران المدرسة .

لذلك عنيت بعض الحكومات الإقطاعية أخيراً — كما عنيت بعض حكومات الهند — بإنشاء مدارس خاصة لتعليم أبنـاء المنبوذين ، كما قامت بعض الجمعيات التبشيرية المسيحية ، والتبليغية الإسلامية ، وغير ذلك ، بإنشاء مدارس خاصة لهم .

على أن القاعدة ليست مطردة فى كل مكان ، فقد شاهدنا — فى (واردا) مثلاً — مدرسة يعلم فيها أبناء الطوائف جميعاً ، على قدم المساواة ، لافرق بين مسلم وهندوسى ، ولا بين هندوسى من الطبقات العليا ومنبوذ .

ولكن هذه نهضة حديثة يراد بها إلغاء الفوارق بين أصحاب الديانات المختلفة ، وكذا بين الطبقات المتباينة من أصحاب الديانة الواحدة .

مراحل التعليم

هذا ، وتنقسم مراحل التعليم فى الهند إلى الأقسام الآتية :

أولا — التعليم الابتدائى : وهو يضاهى التعليم الأولى ، وصدر التعليم الابتدائى بمصر ، ومدته خمس سنوات ، منها سنة تحضيرية . والمدارس الابتدائية بالهند منتشرة انتشاراً كبيراً لا يقابله إقبال من جانب الوطنيين على التعليم ؛ والحكومة والهيئات يجدُّون فى تشجيع الآباء على إرسال أبنائهم وبناتهم إلى هذه المدارس . وإذا كانت الإحصاءات الأخيرة قد كشفت عن الإقبال على هذا النوع من التعليم — ولو إلى حد ما — فإنها كذلك قد سجلت ميلا من جانب الطلبة إلى ترك هذه المدارس قبل إتمام تعليمهم ، يؤيد ذلك أن نسبة الطلبة فى السنة التحضيرية تبلغ ٣١ ٪ تقريباً من مجموع الطلبة ، فى حين أن نسبتهم فى السنة الأولى لا تزيد عن ١٧٪ ، أى أن عدداً يبلغ ١٤٪ تقريباً من الطلبة يترك المدرسة بعد السنة التحضيرية .

ويعزو ولاة الأمر هذه الظاهرة إلى عوامل اجتماعية واقتصادية ، ولكنهم لا ينكرون أثر الروح المدرسية فى هذا التنفير ، فقد ورد فى تقرير إدارة المعارف فى بومباى أن بعض العلة فى

هذا النفور يرجع إلى أن فصول السنة التحضيرية مكتظة بالطلاب ، ومدرسيها يكونون غالباً من أضعف المدرسين — من حيث مؤهلاتهم — ومن أقلهم دراية بأساليب التربية ، ولذلك ينفر الأطفال من المدارس ، ويجدون فى أولياء أمورهم استعداداً لإخراجهم منها .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر أن إقبال البنات على هذا النوع من التعليم ضعيف جداً ، إذ أن نسبة البنات فى هذه المدارس إلى مجموعهن ، لا يتجاوز نصف نسبة الذكور إلى مجموعهم ، ويرجع ذلك إلى تقاليد البلاد الآخذة بعدم ضرورة تعليم البنت ، وهى تقاليد يؤسفنا أن نقرر أنها شائعة فى الشرق . ويقل عدد التلميذات كلما تقدمن فى سنى الدراسة ، ويرجع ذلك إلى نظام الحجاب المبكر في الهند ، وإلى نظام الزواج المبكر .

والمدارس الابتدائية منتشرة فى الهند ، على الرغم من قلة الإقبال عليها ، ومن قيام مشكلة تعترض نشر التعليم المدرسى فى البيئات الزراعية؛ وهى تباعد القرى مع قلة عدد سكان كل قرية، هذا إلى اختلاف جوهرى فى العقائد ، قد يمنع أبناء القرية الواحدة من الانتساب إلى مدرسة واحدة ؛ تضاف إلى ذلك مشكلة المنبوذين المنتشرين فى كل مكان ، بحيث كان لزاماً أن تنشأ لهم مدارس خاصة لتعليم أبنائهم .

وقد قامت حكومة بومباى بتجربة جديدة : هى محاولة الجمع بين أبناء المنبوذين وغيرهم فى مدرسة واحدة ، معتمدة فى ذلك على أن التعليم لا يجوز أن يفرق فيه — بين الطبقات — هذا التفريق الحاد المؤلم ، وإذا استطعنا أن نقرر أن التجربة قد نجحت فى قليل من الأمكنة ، وجب علينا — فى الوقت ذاته — أن نقرر أنها فشلت فى الكثرة الغالبة من المدارس . وقد ضرب مفتش التعليم فى بومباى لذلك مثلا بعدد غير قليل من المدارس ، أجرى فيه هذه التجربة فنفر طلبة المدرسة الأصليون ، بحيث إن المدرسة التى كانت تحوى مئة تلميذ لم يبق فيها أكثر من خمسة عشر تلميذاً .

ولو أسلمت الهيئات التعليمية نفسها للتقاليد ، لوجب أن ينشأ فى القرية الواحدة — التى يحتمل ألا يتجاوز عدد سكانها خمسمائة نفس مثلا — مجموعة من المدارس لا يقل عددها عن ثلاث : واحدة للهندوس ، وثانية للمسلمين ، وثالثة للمنبوذين .

هذه هى بعض العلل فى عدم الإقبال على التعليم فى الهند ، حتى فى أولى مراحله ، وهى مرحلة التعليم الابتدائى .

ويحزننا أن نسجل فى هذا المقام ضعف إقبال المسلمين على التعليم فى هذه المرحلة ، وكذلك مايليها من المراحل ، ذلك بأن إحصاءات مقاطعة بومباى مثلاً قد دلت على أن ١٤٨ فى الألف من البراهمة (الطبقة العليا من الهندوس) ينتسبون إلى المدارس الابتدائية ، يقابلهم ٢٨ فى الألف فقط من المسلمين ، كما يؤسفنا أن نقرر أن قلة الإقبال على التعليم بين المسلمين ، لا تماثلها ، بل لاتقاربها إلا قلة الإقبال عليه بين الطبقات المتوسطة والدنيا من الهندوس ، بما فى ذلك المنبوذون ، وقد كانت هذه البيئات الثلاث سبباً فى ضعف النسبة العامة للتعليم ، بحيث كانت ٤٣ فى الألف فقط فى هذه المقاطعة .

ثانيا : التعليم الثانوى وهو يضاهى التعليم الابتدائى وصدر الثانوى بمصر ، وعدد سنواته أربع ، ويسمى بالتعليم المتوسط Middle School ، وهو المرحلة التالية للتعليم الابتدائى ، ويعتبر تكملة له ، ينطبق عليه من القواعد ما سبق لنا أن قررنا فى الكلام على التعليم الابتدائى .

ومن أوضح مايلفت النظر ، ضعف الإقبال على التعليم الثانوى ، فإذا اتخذنا إقليم بومباى مثلا ، وجدنا أن نسبة التعليم الثانوى فيه ، لا تتجاوز ٦ فى الألف ، يقابلها ٤٣ فى الألف للابتدائى ، وهو بين البراهمة بنسبة ٣٨ فى الألف ، مقابل ١٤٨ فى الألف فى التعليم الابتدائى ، وهو بين المسلمين بنسبة ٥ فى الألف ، مقابل ٢٨ فى الألف فى التعليم الابتدائى .

من ذلك يتضح أن نسبة « ترك المدارس » بين الابتدائى والثانوى واضحة فى المسلمين أكثر مما هى فى البراهمة .

وإن من المحزن أن نقرر أن هذا الامتناع يصحبه أن الحكومة لا تضن على البيئة الإسلامية بتشجيع الإقبال على التعليم ؛ فقد حفظت للمسلمين نسبة مئوية خاصة من الأماكن فى المدارس ، هى من حقهم كلما طلبوا ، كما أنها تقبل ٥ ر٢٢٪ من أبناء المسلمين بالمجان فى المدارس الثانوية ، وهذا عدا مجانيات التفوق التى يُصرف عليها من ريع الأوقاف التى رصدها عظماء المسلمين فى الهند ، لتشجيع التعليم بين المسلمين ، وهى أوقاف طائلة نذكر منها بعضاً مما يخص المدارس الثانوية فى إقليم بومباى على سبيل المثال :

١ — وقفية السير محمد يوسف ، ومقدارها ٠٠٠ر١٨ جنيه مصرى تقريباً ، يصرف منها على ٢٦ طالباً ، بمعدل ٣٠ روبية (٢٢٥ قرشاً) للطالب الواحد فى كل شهر .

٢ — وقفية قاضى شهاب الدين ، ومقدارها ٥٠٠ر١٠ جنيه مصرى تقريباً ، يصرف منها على ١٩ طالباً ، بمعدل ١٥ روبية (١١٢ قرشاً) للطالب الواحد شهرياً .

٣ — وقفية السير إبراهيم كريم بهاى ، وقدرها ٠٠٠ر١٨ جنيه مصرى تقريباً ، يصرف منها على خمسة طلاب فى معهد العلوم الملكى ، بمعدل ٧٠ روبية (٥٢٠ قرشاً للطالب الواحد شهريا ، و١٢ طالباً بمعدل ٣٠ روبية (٣٢٥ قرشا) شهرياً .

ثالثا — التعليم العالى : وهو بمنزلة النصف الثانى من التعليم الثانوى بمصر ، ومدته سنتان ، وتبلغ نسبة المسلمين الذين يتلقون هذا النوع من التعليم فى بومباى أربعة فقط فى كل عشرة آلاف منهم ، يقابلهم ٥٩ فى كل عشرة آلاف من البراهمة . وتنتهى هذه المرحلة من التعليم بالتقدم لنيل شهادة الماتريك Matriculation . وتتولى الجامعات عقد الامتحان لإحراز هذه الإجازة ، بحيث تعتبر امتحاناً للقبول بالجامعة .

رابعا — التعليم الجامعى : ويبتدئ بدراسة سنتين للتحضير للشهادة المتوسطة المعروفة باسم Inter Mediate ، وبعد ثلاث سنوات أخر يتقدم الطالب لنيل درجة بكالوريوس علوم ، أو بكالوريوس آداب ، أو ما يماثلها ، وتلى ذلك مرحلة تخصص مدتها سنتان ، ينال المتخرج بعدها شهادة الأستاذية فى الحقوق L.L.B ، أو الآداب M. A. ، أو العلوم M. S c. ، ولا تليها إلا مرحلة البحث العلمى ، التى ينال الطالب بعدها شهادة الدكتوراه فى الفلسفة Ph. D. أو العلوم D. Sc. أو الآداب D. Lit. .

وأخيراً — يسرنا أن نقرر أن عدد المسلمين الذين يواصلون دراساتهم الجامعية بعد نيل شهادة الماتريك ، هو فى الواقع عدد مشرف ، يبعث على حسن الاعتقاد بمستقبل التعليم بين المسلمين ، بفضل إرشاد أولئك الذين تعلموا تعليما جامعياً ، فأدركوا أثر التعليم فى تحسين حال بيئتهم . وقد دل إحصاء سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ على ما يأتى :

نال شهادة الماتريك	٤٧٧	طالباً
ونال الشهادة المتوسطة	١٠٥	»
ونال شهادة بكالوريس	١٠٠	»
ونال شهادة الأستاذية	١٣	»

أى أن ٢١٨ طالباً من كل ٤٧٧ طالباً ؛ يواصلون دراساتهم الجامعية ، بنسبة ٥٢ ٪ ، وهى نسبة مبشرة ولله الحمد .

وتساعد الحكومة طلبة التعليم الجامعى – على اختلاف دياناتهم – مساعدة لها أثر محسوس ؛ ذلك بأنها تمنح فى بومباى — مثلا — مجانيات التفوق الآتية :

٤٠ مجانية مع راتب قدره	١٥ روبية شهريًا	فى كلية الآداب	لمدة أربع سنوات .
٣ » » » »	٣٠ » » »	» » الهندسة	» ثلاث سنوات .
١ » » » »	٢٥ » » »	» » التجارة	» ثلاث سنوات .
٣ » » » »	٢٠ و ٢٥ » »	» » الحقوق	» سنتين اثنتين .

* * *

هذا عرض سريع لحال التعليم المدنى فى بلاد الهند ، ومدى إقبال المسلمين على الأخذ به ؛ وقد حاولت البعثة تقرى الأسباب التى أوجبت قيام هـذه الحالة المحزنة ؛ وإنا لموردون هنا ما استطعنا الوصول إليه فيها :

كان المسلمون إلى عام ١٨٥٧ سادة البلاد ، وما يزال الشعب الإسلامي فى الهند يتغنى بماضى مجده القريب ، كما لا يزال كثير من سادتهم يحملون إلى جانب أسمائهم الألقاب الضخمة ، التى تدل على شرف المحتد ، والانتساب إلى بيوت الملك ؛ ولكثير من عظماء المسلمين بالهند ثروات ضخمة اكتفى بها غير المثقفين منهم عن تعليم أبنائهم ؛ وفى ذلك بخس من قدر العلم .

ومما يزيد الألم أن هـذه الحال المحزنة بين المسلمين تقابلها حال تكاد تكون مضادة لها فى البيئات الهندوسية ، لا سيا فى الطبقة العليا ؛ إذ أدرك الهندوس قيمة العلم وأثره فى الكفاح الحيوى ، وخاصة كفاح البيئتين الإسلامية والهندوسية فى تلك البلاد .

صحيح أن أنظار المسلمين قد اتجهت فى السنوات الأخيرة إلى تثقيف أبنائهم ، ولكن يخيل إلينا أن النشاط العلمى فى البيئات الهندوسية يغلب على ما يقابله من نشاط بين المسلمين ، بحيث يخشى (فى ميدان العلم قبل كل شىء) أن تكون الغلبة قريبًا للهندوس ، فلا ينازعهم تفوقهم منازع .

ومما تجب الإشارة إليه أن نشاط الهندوس ، ورغبتهم الجدية فى التفوق ، لا تقتصر على

ميدان العلوم النظرية ، بل إنهم قد ضربوا بسهم وافر من النشاط فى العلوم العملية كذلك ، ويظهر هذا النشاط واضحا جليا إذا ما وازنا بين نشاط جامعة عليكرة العلمى البحت ، وبين نشاط جامعة بنارس ، الذى يمت إلى العلوم العملية بصلة كبرى .

الحياة الجامعية فى الهند

لقد تقدمت الهند فى خلال العشرين السنة الأخيرة تقدماً باهراً فى حياتها الجامعية : إذ أنشئت فى هذه السنوات القلائل — فى حياة الأمم — اثنتا عشرة جامعة ، كما نظمت الجامعات الست القديمة تنظيما حديثاً ، مكن الطلبة من إجراء الأبحاث العلمية والأدبية لنيل الدرجات العليا (الدكتوراه) فى الجامعات الهندية ، بدلا من السفر إلى الخارج .

ويقابل النمو الجامعى بارتياح فى الدوائر الوطنية فى الهند ؛ إلا أنه لا يخلو من نقد مر ، يوجهه إليه كثير من الأجانب ؛ إذ يقررون أن الحياة الجامعية فى تلك البلاد تتدرج بأسرع من حاجة البلاد نفسها ، ويدللون على صحة مذهبهم بانتشار التعطل بين متخرجى الجامعات وكذلك بضعف المستوى الجامعى فى الهند .

ويجيب المثقفون فى الهند ، وولاة الأمر المسئولون عن الحياة الجامعية ، على هاتين الملاحظتين : بأن التعطل بين خريجى الجامعات ليس بدعا فى بلادهم ، بل هو أمر يدل على رسوخ قدم التعليم الجامعى فيها ؛ وعما قليل تحل هذه المشكلة بإقبال المتخرجين على بعض الوظائف الصغرى ، التى لا تسيغها نفوسهم فى الوقت الحاضر . وقد ألفت لجان حكومية لبحث مشكلة التعطل بين المتعلمين ، فأسفرت بحوثها عن بعض العيوب فى تنظيم الجامعات ، وولاة الأمر آخذون اليوم فى معالجة الحال .

على أن عدد المتعطلين ليس من الكثرة بحيث يدعو إلى كل هذا الذعر ؛ فقد دل إحصاء المتعطلين فى سنة ١٩٣١ على أن عددهم لا يزيد عن ٢٠٤٣ متعطلا من حائزى الدرجات ، وهم موزعون على الوجه الآتى :

بكالوريوس علوم	٤٢	بكالوريوس آداب	١٣٧٠
أستاذية علوم	٤١	إجازة الحقوق	١٤٩
بكالوريوس هندسة	٤٢	أستاذية آداب	١١٣

بكالوريوس زراعة	٢١	حكماء شرقيون	١٥٤
بكالوريوس تجارة	١١١		

من ذلك يتضح أن معظم المتعطلين ، هم من خريجى كليات الآداب ؛ وهذه حال لها مايقابلها فى معظم دول العالم .

ولا يلفت النظر فى حال التعطل هــذه إلا كثرة المتعطلين من خريجى كليات التجارة ؛ وعلة ذلك أن البلاد لما تتعود أن تستخدم هؤلاء فى المرافق الوطنية الخالصة ؛ وهم لذلك لا يجدون عمــلا إلا فى المصارف وأمثالها ؛ ومما لا شك فيه أن البــلاد سائرة فى طريق إدراك حاجتها إلى هؤلاء .

أما العطل بين الأطباء (الحكماء) فإنه يبدو غريباً لمن لا يعرف الهند ؛ ذلك بأن الطبيب المعنى هنا ، ليس هو الدكتور الذى نعرفه فى مصر مثلاً ؛ فالطب فى بلاد الهند نوعان ؛ أحــدهما غربى ينتسب الطالب إلى كلياته بمثل ما ينتسب إلى كليات الطب بأوروبا ومصر ، ويدرس فيه العلوم العليا ، ويصير بعد نيل درجته (دكتوراً) ؛ أما الآخر فهو الطب اليونانى أو (الطب الشرقى) كما يسمونه هناك — وينقطع له الطالب بعــد نيل شهادة المدرسة المتوسطة ؛ وقد ينتسب إليه من لا يعرف اللغات الأجنبية ممن تعلم فى المدارس الوطنية ؛ وفى هذه الكليات الطبية يتلقى الطلاب علوما نافعة للهند ، أساسها العلاج بالعقاقير المستخرجة من الأعشاب الهندية ، ويقوم إلى جانبه طب آخر هو « طب الفيدا » المأخوذ من الكتاب المقدس عند الهندوس ؛ وقد يجمع إلى كل من هذين بعض مبادىء الطب الغربى ، ولا سيما التشريح والأقرباذين .

وخريج هذه الكليات يسمى طبيباً (حكيما) . ولا تستخدمه الحكومة إلا فيما ندر ، وفى غير ما تخصص له ، ولذلك يعيش معظمهم على العيادات والصيدليات الملحقة بها ، يتناولون أجراً بسيطا عن تشخيص الداء ، وتقرير الدواء ، ثم يبيعون الدواء للمرضى من صيدلياتهم . وظاهر أن العطل جائز بين هؤلاء ، وذلك على الرغم من الخدمات الجليلة التى يؤدونها لبلادهم ، حيث توجد ملايين من المرضى لا يستطيعون دفع أجر طبيب على الطريقة الغربية .

هــذا عن مشكلة التعطل بين المتخرجين ، أما عن ضعف المستوى العلمى فى الجامعات ، فقد أسفرت لجان التحقيق عن اكتشاف عيب جوهرى فى الحياة المدرسية فى الهند : هو قلة المدارس الفنية المتوسطة التى يستطيع الطالب أن يلتحق بها إذا لم تساعده مواهبه على الاستمرار فى الدراسة

حتى المرحلة الجامعية . وهى حالة شاذة تكاد تنفرد بها الهند من بين بلاد العالم التى عرفت التعليم الجامعى ، فليس العيب إذاً من الحياة الجامعية ، بل العيب فى نقص فرع من فروع التعليم ، هو التعليم الفنى المتوسط . وقد أدركت ذلك بعض الحكومات — وفى مقدمتها حكومة حيدر آباد — وهى لهذا جادة فى تلافى هذا العيب بإنشاء المدارس الفنية المتوسطة .

على أن الهند قد أخرجت من جامعاتها طبقة من فطاحل العلماء ، هم فخر الحياة العلمية اليوم ، نذكر منهم على سبيل المثال : « السير جاجاديش بوس » الذى أدهش علماء الغرب ومفكريه ، واكتسب احترام الجميع ، بمكتشفاته العلمية ، ومنهم « السير رامان » الذى بهر أنظار العالم ببحوثه المعروفة بنتائج (رامان) ، ومنهم كذلك « الدكتور ساها » ، وهو ثالث هندى نال درجة زميل فى الجمعية الملكية البريطانية .

وإن ننس لا ننس فى ميدان الأدب : « السير رابندرانات تاغور » وما أحدثه من أثر رائع بكتاباته الأدبية وفلسفته العقلية ، كما أحرز شهرة عظيمة فى الهند ، كل من « الدكتور حكيم أجمل خان » ، و « الدكتور أنصارى » .

ولغة العلم فى معظم جامعات الهند هى اللغة الانجليزية ، نظراً لتعدد اللغات واللهجات ، وقد سبق القول أن بالهند اليوم ٢٢٥ لغة ، ترجع فى أصلها إلى ستة أصول لغوية ، فكان من المتعذر أن توحد لغة الدراسة ، مما ساعد الحكومة على فرض اللغة الإنجليزية كوسيلة للتعليم ، لأنها تعتبر وحدة تنتظم الجميع . يتعلمونها من السنة الثالثة بالمدارس الابتدائية .

على أن نزعة قد ظهرت فى الهند حديثاً ، ترمى إلى تعليم العلوم باللغة الوطنية ، فقررت جامعة بنارس أن تكون اللغة الهندية (Hindi) لغة التعليم ؛ ولكنها لما تستطع أن تخطو خطوة عملية فى هذه السبيل ، لأن الطلبة يتلقون علومهم فى المدرستين : المتوسطة ، والعالية ، باللغة الإنجليزية ؛ فليس من السهل أن يعدل عنها فى مرحلة التعليم الجامعى ، مع مسيس الحاجة إلى المراجع — وكلها مؤلفة بالإنجليزية — لذلك ترمى الجامعة إلى تشجيع التعليم فى المدرستين ، المتوسطة والعالية باللغة الهندية ، وتجدّ فى الوقت نفسه فى إصدار مؤلفات أو مترجمات بهذه اللغة ، لتحل محل المراجع الإنجليزية فى المرحلة الجامعية ، وقد نجحت إلى الآن بعض النجاح .

أما الجامعة التى نجحت فعلاً فى هذه السبيل ، فهى الجامعة العثمانية التى تديرها حكومة حضرة صاحب السمو العالى « نظام حيدر آباد » . فقد فرضت — منذ إنشائها — لغة الأردو لغةً للعلم

فى الجامعة ، وأعدت العدة لذلك ، بأن جعلتها لغة المدارس المتوسطة والعالية ، وأنشأت إدارة للتأليف بها والترجمة إليها من اللغات الثلاث : الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، ويَسَّرَت للطالبين سبيل الحصول على هذه المؤلفات ، حتى تنتشر ، فتعم فائدتها .

وتنقسم الجامعات فى الهند إلى ثلاثة أنواع :

جامعات حكومية : — تديرها وينفق عليها من الميزانية العامة ، والانتساب إليها مباح لكل الطبقات ، والدراسة فيها لا تمس الدين — لا فى قليل ولا كثير — إلا أنه يجوز لأية طائفة دينية أن تنشىء كلية خاصة تتبع الجامعة فى إدارتها ، ويتقدم طلبتها إلى الجامعة فى امتحاناتهم ، وتكون لإدارة هذه الكلية الحرية فى إدخال العلوم الدينية فى مناهج الدراسة ، بشرط ألا تتأثر بها العلوم الأصلية ، التى يمتحن فيها الطالب أمام الجامعة ، وفى مثل هذه الحال ، ترى الجامعة أن إنشاء هذه الكلية وأمثالها يخفف الضغط عن الجامعة الأصلية ، ويحل إشكالا من الاشكالات المعقدة ، هو اختلاط الطلبة المختلفى الديانات ، وما يجر إليه من مشكلات ، فتدفع الجامعة إعانة لهذه الكلية ، تساعدها على أداء رسالتها مع الاستقلال .

وقد شجع على إنشاء هذا النوع من الكليات ، اتساع مساحة الدوائر التى يشملها نفوذ الجامعات ؛ ففى جامعة البنجاب مثلا ، نرى أن نفوذها يمتد من بشاور وكشمير شمالا إلى بهاولبور جنوباً ، ولذلك أصبحت الجامعة مكونة من ٥٣ كلية ، يبعد بعضها عن بعض مسافة قد يقطعها القطار فى يوم وليلة .

ومما يذكر للمسلمين فيشكر : عناية أهل الشمال منهم بإنشاء هذا النوع من الكليات ؛ فالكلية الإسلامية فى بشاور ، والكلية الإسلامية فى لاهور ، وكلية صديق إيجرتون فى بهاولبور ، وكلية إسماعيل بأندهيرى ، كلها تؤدى للمسلمين أحسن الخدمات فى الثقافة ، إلى جانب الإلمام بأصول الدين الإسلامى ، وتشجيع الطلبة المدنيين على العناية بدينهم ، وتعويدهم أداء فروض الإسلام ، إلى جانب العناية باللغة العربية ، وتشجيع الطلاب على اتخاذها مادة من مواد الامتحان ، وإنا لنرجو أن ينتشر ذلك فى كثير من أرجاء الهند .

وكما اختص المسلمون ببعض الكليات ، اختصت الطوائف الدينية الأخر ببعض أيضاً ؛ فنرى كثيراً من الكليات قد قام بإنشائه واكتتب بمعظم المال اللازم لإدارته الهندوس والسيخ .

ومما يؤسف له أن وقت البعثة قد قصر عن زيارة هذه المؤسسات ، بعد أن وردتها دعوات

من بعضها ، ولذلك يكاد يكون من المتعذر أن نوازن بين الحياة العلمية فى الكليات الإسلامية ، و بين مايماثلها فى الكليات الأخر .

ومن الجامعات الحكومية : الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، أمر بتأسيسها حضرة صاحب السمو العالى « النظام » ، وهى لا تختلف عن الجامعات الحكومية إلا فى أن لغة (الأردو) هى واسطة التعليم فيها كما ذكرنا ، وثمت فارق آخر ، هو أن بالغ عناية سمو النظام ورجال حكومته بالدين الإسلامى ، قد قيضت لهم أن ينشئوا كلية دينية يتخصص فيها الطلبة ، فى علوم الدين الإسلامى من فقه وتفسير وحديث وغير ذلك ، مما يلزم لطالب العلوم الدينية .

ويشترط فيمن ينتسب لهذه الكلية أن يكون حاصلا على شهادة الماتريك — شأنه فى ذلك شأن بقية طلاب الجامعة — ولكن بشرط أن تكون اللغة العربية إحدى مواد الامتحان فى شهادته ، حتى يتيسر له الإلمام بعلوم الدين وغيره من البحوث الإسلامية التى لا يستطاع تحصيلها إلا بعد الإلمام بأصول اللغة العربية وقواعدها .

ومما يسرنا تسجيله أن قوام التدريس فى هذه الكلية مجموعة من الأساتذة والمحاضرين ، أتم جلهم دراساته العالية فى مصر ؛ فمنهم من تخرج فى الأزهر الشريف ، ومنهم من تخرج فى دار العلوم العليا ، ومنهم من تخرج فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ومنهم من جمع بين اثنتين أو ثلاث من شهادات هذه المؤسسات .

جامعة عليكرة الإسلامية : ولقد كان من آثار اهتمام المسلمين بمستقبل أبنائهم ، أن قامت فى الهند منذ سنة ١٨٨٧ « جامعة عليكرة الإسلامية » .

وقد نادى بضرورة تأسيسها المغفور له « السير السيد أحمد خان » ؛ وكان — رحمه الله — من قادة الفكر ، فرأى بثاقب فكره أن مستقبل الجيل الإسلامى — فى تلك البلاد — يستدعى طريقاً خاصة لتعليم المسلمين ، طريقاً تجمع بين الحصول على الشهادات الرسمية للحكومة ، وإحراز قسط وافر من علوم الدين ؛ لذلك دعا إلى تأسيس جامعة إسلامية تقوم على تربية النشء من أولاد المسلمين تربية جامعية ، مع الإلمام بأصول الدين الإسلامى . ومما امتازت به هذه الجامعة : قسم اللغة العربية والدين الإسلامى .

أما اللغة العربية ، فهى مادة اختيارية ، ولكن الجامعة تشجع على دراستها بمختلف الوسائل .

(٦)

وأما الدين الإسلامى فقد جعلت له حصص قبل بدء اليوم المدرسى ثم بعد انتهائه ، يحضرها من يشاء من الطلبة ، ولكنهم لا يؤدون فيها امتحاناً .

وبالجامعة مسجد كبير يؤمه الطلبة للصلاة ، كما أن لكل مسكن من مساكن الطلبة مسجداً خاصاً يؤمه طلبة المسكن للصلاة ، عند ما يكون الوقت غير ملائم للذهاب إلى المسجد الكبير .

وقد استبسل « السير السيد أحمد خان » فى الإنفاق على هذه الجامعة الإسلامية ، حتى ليقال إنه مات فقيراً معدماً لم يترك لأولاده إلا الذكرى ، ولم يكن ليترك باباً من أبواب سراة المسلمين ، بل من أبواب فقرائهم ، إلا طرقه مستندياً الأكف لهذه الجامعة . وها هى ذى الجامعة اليوم فى الهند ، تشيد بذكر مؤسسها الكبير ، وواضع نواة الإصلاح للبيئة الإسلامية .

ولا تستطيع أن تشعر ، وأنت تزور جامعة عليكرة ، بما لها من أثر اجتماعى خطير فى الهند ، إلا أنك لا تكاد تخرج من الجامعة حتى تلقى شباب الهند المثقفين ، الذين احتلوا بحق أهم مراكز الحكم والحياة العملية ، وهم يتغنون ويفاخرون بأنهم « عليكريون » ، فتشعر بالأثر السحرى الذى كان لهذه الجامعة فى تخريج عدد من الرجال ، هم زهرة شباب الهند الإسلامية اليوم ؛ وإذا كان كثيرون منهم قد تخصصوا بعد ذلك فى « كمبردج » أو « اكسفورد » ، فإنهم لا يعنون بذكر ذلك بقدر ما يعنون بالمفاخرة بأنهم من خريجى جامعة عليكرة .

وللرابطة العليكرية قوة تفوق ما يماثلها من قوى فى الهند ، فلقد رُوى لنا أن الشاب إذا تخرج فى هذه الجامعة ، فما عليه إلا أن يطرق باب عظيم من عظماء المتخرجين فيها ، فتتفتح له أبواب العمل ، ولا يصعب عليه أن يحتل مركزاً ، لا يلبث أن يكون فيه عظيماً .

هذه هى جامعة عليكرة ، وهى وإن كانت لا تؤدى للدين من الخدمات بقدر ما تؤديه الجامعة العثمانية مثلا ، أو المدارس الدينية المنتشرة فى أنحاء الهند (والتى سنتناولها الآن بالكلام) إلا أنها تعتبر حجر الزاوية فى ربط الشباب الإسلاميين المثقفين بعضهم ببعض ، وإن باعدت بينهم الإقامة وظروف الأعمال .

جامعة بنارس : وقد كانت جامعة عليكرة وما أصابت فى الماضى من نجاح صار مضرب الأمثال ، خير حافز للبيئة الهندوسية لأن تقتدى بها ، فتؤسس لها جامعة هندوسية في بنارس ، تؤدى لها ما تؤديه جامعة عليكرة للبيئة الإسلامية .

فجامعة بنارس قد خرجت فكرتها إلى حيز التنفيذ في سنة ١٩١٧ ، أى بعد جامعة

عليـكرة بنحو ثلاثين سنة ، و بهذا أتيحت الفرصة لتلك أن تتفادى ماتعانيه هذه من نقص .

ففى نظام الأبنية : كانت جامعة عليـكرة كلما استطاعت الحصول على قطعة من الأرض بنت إحدى المؤسسات . أما جامعة بنارس فقد ابتاعت الأرض كاملة ، ثم رسمت لمبانيها خطة تجرى حتى اليوم على تنفيذها بالتدريج ؛ لذلك نرى المبانى في بنارس أحسن تنسيقاً منها في عليـكرة .

أما عن حال الدراسة ، فإن جامعة بنارس قد اقتبست نظمها من أحدث جامعات العالم ، وعلى الأخص من أمريكا ؛ لذلك ترى نزعة الحياة فيها أقرب إلى العملية منها إلى النظرية . في حين أن جامعة عليكرة — نظراً لقدم تأسيسها — تنحو نحو الحياة النظرية ، أكثر مما تنحو نحو الحياة العملية .

وكأن الرجال المسئولين عن جامعة بنارس ، قد أدركوا ناحية من نواحى الألم في جامعة عليـكرة، وهى تضخم رواتب الأساتذة والمحاضرين، فأعدت لهذه الحال عدتها ؛ بأن وضعت أساتذتها ومحاضريها — منذ البداية — فى مستوى أقل من مستوى أمثالهم فى عليـكرة ، من حيث الرواتب ؛ وبذلك لم تستهدف فى الأزمة المـالية الطاحنة المـاضية لما استهدفت له عليـكرة من الاضطرار لإنقاص رواتب المدرسين .

على أن كلاً من الجامعتين — عليـكرة وبنارس — يعتبر مثلاً أعلى فيما يجب على الشعب أن يقوم به في سبيل تثقيف أبنائه تثقيفاً وطنياً متحرراً من القيود الحكومية ، فإن الشعب يكتتب لـكل من هاتين الجامعتين بالمـال الـكثير فى كل عام .

ويكفى أن نعلم أن ميزانية جامعة عليـكرة يُربى على ١٢٠ ألفاً من الجنيهات ، لا تساهم فيها الحـكومة إلا بمقدار ٢٠ ألف جنيه فقط ، فى حين تبلغ ميزانية جامعة بنارس حوالى ٨٠ ألف جنيه ، تدفع الحـكومة منها قدر ما تدفع لجامعة عليـكرة .

و بعد ؛ فإن مقياس النفع الذى تؤديه كل من هاتين الجامعتين للهند ، لا يقاس بميزانيتها السنوية ، ولا بمقدار ماتساهم به الحـكومة فى تلك النفقات ، بل أجدر من ذلك أن يقاس بما نشهده من نشاط وطنى فى كل من هاتين المؤسستين .

مدارس المنبوذين

وقبل أن نختتم الكلام على التعليم المدنى ، يجدر بنا أن نشير إلى الجهود التى تبذل فى الهند لتعليم أبناء المنبوذين تعليما مدنياً .

فقد أنشأت الحكومة لهم مدارس خاصة ، عنيت بأن تجمع فى كثير منها : بين تعليم القراءة والكتابة باللغة الوطنية ، و بين صناعة لاتحتاج إلى رأس مال كبير . وقد ساهمت الجمعيات التى تعمل على رفع مستوى المنبوذين فى افتتاح عدد غير قليل من هذه المدارس الابتدائية — سواء فى ذلك الجمعيات التى ولدتها حركة زعماء الهندوس لإصلاح حال المنبوذين ، أم الجمعيات التى نشأت فى بيئات المنبوذين بفعل زعمائهم .

ومما يجب أن يعتبر به المسلمون : أن للمبشرين المسيحيين جهوداً فى نشر التعليم بين طبقات المنبوذين ، إلى جانب التبشير ، وهى جهود جبارة يقوم بها المبشرون منذ عشرات السنين .

وتقوم بعض جمعيات التبليغ بالدين الإسلامى ، بافتتاح مدارس ابتدائية فى أحياء المنبوذين ، حيث تلقن العلوم الابتدائية إلى جانب مبادىء الدين الإسلامى . على أن بعض هذه المدارس يلقن هؤلاء الصغار مبادىء العلوم دون المساس بالدين ، حتى لا ينفر المنبوذون الذين دخلوا هـذه المدارس ؛ على أن أصحاب النظرية الثانية يأملون أن يتمكنوا من التطرق إلى المواضيع الدينية ، حينما يُحسون ارتياحا إليها : لدى الطلبة من ناحية ، وأولياء أمورهم من ناحية أخرى .

وقد شاهدنا فى حكومة « حيدر آباد » عدداً من المدارس ، خصص لأبنـاء المنبوذين ، يعلمون فيها العلوم باللغة الوطنية ، و إلى جانبها بعض الصناعات الأولية ؛ ومع أن معلمى هذه المدارس من المسلمين ، فإنهم لايعرضون لبحث المواضيع الدينية مع الأطفال ، حرصاً على ألا يقال إن الحكومة تقوم بعمل « تبليغى » عن طريق التربية والتعليم .

المدارس الدينية الاسلامية

لما كانت المدارس الابتدائية والمتوسطة والعالية ـ التى تديرها الهيئات الحكومية ـ ممنوعة من تعليم الدين ، ولما كانت العقيدة الإسلامية المتمكنة من نفوس المسلمين ، لاتسمح لهم بإهمال هذه الناحية من نواحى تكوين الشباب وهى الدين ، فقد نديت الأكف فى عامة أنحاء الهند بالتبرعات لإنشاء مؤسسات علمية دينية خالصة لوجه الله ، لايبتغى منها منشئوها إلا وجه ربهم الكريم .

فأينما سرت فى بلاد الهند ، سواء أكان الإقليم منطقة لقلة إسلامية ، أولكثرة إسلامية ، وجدت هذه المدارس الدينية . وقد يطول بنا الشرح إذا حاولنا أن ندل على إحصائها ، أو وصف مسهب لحالها العامة ؛ إلا أننا نتناول بالبحث أهم ما شاهدناه منها :

تنقسم مراحل التعليم فى هذا النوع من المدارس أربعة أقسام ، تقابل أقساما أربعة ، شرحناها فى الكلام على التعليم المدنى ؛ وهى : الابتدائى ، والمتوسط ، والعالى ، والجامعى .

التعليم الابتدائى

انفرد المسلمون فى الهند بهذا النوع من المدارس الابتدائية ، وهى مدارس يعلم فيها التعليم المدنى تقريباً ، يضاف إلى ذلك : الإلمام باللغة العربية عن طريق إقراء القرآن الكريم أو تحفيظه ؛ وهذه المدارس فى حالها اليوم ، أشبه ما تكون بالكتاتيب التى كانت معروفة فى مصر قبل مشروع التعليم الأولى ، وينفق على هذه المدارس أفراد ، وتعينها فى بعض الأحيان المجالس البلدية . أما فى الإمارات التى يحكمها أمراء من المسلمين ، فإن الدولة هى التى تنفق عليها .

ومن أمثلة هذه المدارس : المدرسة العبيدية فى بهوبال ، حيث شاهدنا أطفالا دون الثامنة من أسنانهم ، يجوّدون القرآن الكريم تلاوة من المصحف الشريف ، وفيهم حفاظ قليلون ، ومدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات تنتهى بنيل شهادة « مؤدب » .

التعليم الثانوى

فإذا ما انتهى الطلبة من القسم الابتدائى ، ألحقوا بالقسم الثانوى ، حيث يزداد إلمامهم بعلوم الدين الإسلامى ، فيتلقون الحديث الشريف ، ثم الفقه على المذهب الذى تتخيره إدارة المدرسة، ثم يزداد إلمامهم باللغة العربية ، فيقرءون الكتب الأولية فيها .

وكثيراً ما تجمع المدرسة الواحدة القسمين : الابتدائى والثانوى ، ومن أمثلة ذلك : المدرسة الأمينية بدلهى ، ومدرسة مَظهر العلوم بكراتشى . أما المدرسة الرحمانية بدلهى فهى من هذا النوع ، ولكنها تعنى بدراسة الحديث واستنباط الفقه منه ، غير متقيدة بمذهب من مذاهب الفقهاء الأربعة ؛ ومدة الدراسة فى هذه المرحلة أربع سنوات تنتهى بنيل شهادة « مولوى عالم » .

التعليم العالى

وبانتهاء الطالب من مرحلة التعليم الثانوى ، ينتقل إلى المرحلة التى تليها وهى التعليم العالى ، حيث يتبحر فى العلوم العربية والدينية ، ويصبح أهلا لتلقى علوم أعلى من مستوى التعليم الثانوى .

ومن أمثلة ذلك : المدرسة الأحمدية فى بهوبال ، ومدرسة فاتابورى فى دلهى ، وسلطان المدارس فى لكنو ؛ ومدة الدراسة فى هذه المرحلة ثلاث سنوات ، يتقدم فى ختامها الطالب إلى امتحان تجريه الحكومة لنيل شهادة دينية إسلامية « مولوى فاضل » تعادل شهادة (الماتريك) فى مناهج التعليم المدنى ، وتوازى إلى حد ما ، شهادة إتمام الدراسة الثانوية فى الأزهر .

التعليم الجامعى

ثم تلى ذلك مرحلة التعليم الجامعى ؛ وفيها يتوسع الطلبة فى العلوم العربية وعلوم الدين ، حيث يدرسون سنتين لنيل الشهادة المتوسطة ، ثم ثلاث سنوات تنتهى بشهادة « علاّمة » ، وهى تقابل درجة (بكالوريوس) فى التعليم الجامعى المدنى ، ثم تليها مرحلة تخصص : فى التفسير ، أو الحديث ، أو المعقول ، أو التشريع الإسلامى ، أو الأدب والتاريخ ، أو التبليغ .

ومن الجامعات التى تجرى على هذا النظام : دار العلوم بديوباند ، وندوة العلماء بلكنو ، والجامع العباسى ببهاولبور ؛ على أن ثمت فوارق كبيرة بين هذه المؤسسات الثلاث .

ودار العلوم بديوباند : تجرى على ما كان الأزهر يجرى عليه ، منذ مائة سنة تقريباً ، لم يدخل على مناهجها أى تعديل ؛ وهى جامعة على النسق القديم ، و إن كنا قد آنسنا فى رجالها استعداداً للأخذ بالجديد ، كما ورد ذلك فى خطبهم ، إلا أن الروح العامة في هذه الجامعة الدينية، ما تزال غير آخذة بالأساليب العصرية ، فى الجمع بين علوم الدنيا وعلوم الدين ؛ ورجال هذه الجامعة من الطراز القديم أيضاً ، يعيشون فى عزلة عن العالم ؛ شأنهم شأن علماء مصر فى القرن الماضى .

ويلحق خريجو هذه الجامعة بالوظائف التى تتطلب مثل صفات هؤلاء المتخرجين ، وتكاد الصلة تكون منقطعة بينهم و بين خريجى الجامعات المدنية ؛ و يعتبر رجال ديوباند مثلا حياً للبعد عن رجال الدنيا .

ولا ينجو رجال الدنيا من لمز هؤلاء العلماء وغمزهم ، والتعليق على سلوكهم ، بل تمادى بعضهم فنعت هؤلاء بالكفر لعدم أخذهم بمذهبهم فى الدين ؛ ويسمى خريجو هذه الدار با « الديوبانديين » .

أما الجامع العباسى ؛ فهو مؤسسة أنشأها سمو « نواب بهاولبور » ، لتكون أزهرَ جديداً فى بلاده ؛ و ينتسب سمو النواب إلى الدولة العباسية ، ولذلك ظهر شغفه باللغة العربية وتعلقه بكل ما هو عربى إسلامى . وقد تعرف شئون الأزهر فى مستهل القرن العشرين بواسطة وزير المعارف « الميجر شمس الدين » ، ووزير المهام الخاص « الكولونيل قريشى » ، وعمل بمشورتهما فأنشأ هذه الجامعة العباسية ؛ ومناهجها أقرب ما تكون إلى مناهج الأزهر قبل القانون رقم ١٠ .

ولسمو النواب ورجال حكومته عناية كبرى بهذه المؤسسة ، ويرجون أن تؤدى لبلادهم ما يؤديه الأزهر لمصر من خدمات ؛ ولكن رئيس هذه الجامعة رجل من رجال المدرسة القديمة .

أما ندوة العلماء فى لكنو : فهى أزهر حديث جمع بين علوم الدنيا وعلوم الدين ، على نسق ما يفعل الأزهر اليوم ، ورجال هذه المؤسسة من أنصار القائلين بأن علماء الدين لا يستطيعون القيام بخدمة الدين خدمة صحيحة ، إلا إذا استمالوا إلى جانبهم علماء الدنيا واختلطوا بهم . وهم يجمعون بين الثقافتين على أحسن ما يستطاع . والإشراف على شئون هذه الدار مماثل للإشراف على شئون الجامعات المدنية ، فتديرها ثلاثة مجالس :

١ — أراكن انتظامى : ويتكون من ٧٤ عضواً ، بعضهم من خريجى الندوة الذين يحتلون

المراكز الكبرى فى مختلف أنحاء الهند ، والبعض الآخر ممن ترى الدار فائدة من ضمهم للاستنارة بآرائهم العلمية أو الإدارية ، أو بنفوذهم الدينى أو السياسى ، أو غير ذلك .

٢ — المجلس الانتظامى : وهو الهيئة التنفيذية ؛ وينتخب أعضاؤه من بين أعضاء المجلس الأول ، وهو الذى يشرف الإشراف الكامل على أمور الجامعة بين فترات انعقاد « أراكن انتظامى » ، ويتقدم إليه بأعماله .

٣ — وينتخب من بين أعضاء المجلس الانتظامى عدد من النُّظَّام . فهذا ناظم الندوة (الدكتور عبد العلى) قد نيطت به إدارة الجامعة ، وهذا ناظم المالية قد نيطت به الأعمال المالية ، وهكذا ؛ ولا يتناول هؤلاء النُّظَّام ولا غيرهم أجوراً عما يؤدونه لهذه المؤسسة من خدمات .

وندوة العلماء قد خرجت اليوم عدداً لا يستهان به من العلماء ، يميزهم من غيرهم — من خريجى المعاهد الأخر — إلمام بشئون الدنيا ، واتساع فى الأفق العلمى ؛ وللدكتور عبد العلى رأى فى أعمال التبليغ نرجىء عرضه إلى حين .

ومن فطاحل خريجى هذه الجامعة : السيد سليمان الندوى ، وهو من قادة الفكر بين المسلمين ، ويعيش فى مدينة (أعظم جار) ، ويتتبع سير الأمور فى العالم الإسلامى بعناية ، ويعرف عن الأزهر ونهضته ما لا يعرف كثيرون .

ومنهم : السيد هاشم الندوى ؛ وقد وقع عليه اختيار صاحب السمو العالى « نظام حيدر آباد » لإدارة دائرة المعارف العثمانية ، وهى مؤسسة جزيلة النفع ، تسهر على نشر العلوم والمعارف الدينية والعربية ، بنشر الكتب القديمة فى الدين والأدب بها . ويطوف السيد هاشم الندوى طوافاً منظماً بكافة المكتبات العامة والخاصة بالهند ، لاختيار المخطوطات التى يراها لازمة لطلاب الدين الإسلامى واللغة العربية ، وطبعها ونشرها على نفقة الدار .

أما « فرنجى محل » ؛ فمدرسة دينية عالية يديرها جماعة من العلماء على نسق أهل ديوباند ، وهم يعتزون بأنه لم يطرأ عليهم ما طرأ على غيرهم من أساليب المدنية ؛ كتدريس العلوم الحديثة واللغة الأجنبية ؛ كما يعتزون باستقلالهم عن الحكومة فى التعليم . وقد اتخذوا « فرنجى محل » اسما لمدرستهم ، لأن الحى الذى تقع فيه ، كان موطن الأوروبيين قبل أن يخرجهم منها الملك « أورانج زيب عالمجير » .

وبلاهور جمعية خدام الدين ، وتسمى مدرستهم « قاسم العلوم » ، وهى مدرسة على نسق

ديوباند أيضاً ، وقد أصدروا طبعــة للمصحف الشريف باللغة العربية ، وعليها ترجمة لفظية بلغة الأوردو .

مدرسة الواعظين : ومن أهم أقسام التخصص فى الدين الإسلامي مدرسة الواعظين للشيعة :

تتكوّن هذه المؤسسة من ثلاث فرق ، وتبتدىء الدراسة فيها بعد نيل الطالب درجة عالم ، وقد حدّد عدد الطلاب بأربعة لكل فرقة ، يتخصصون فى وسائل الوعظ والإرشاد ، ويعينون بعد تخرجهم وعاظا ومرشدين فى الهند وخارجها .

إلا أن العناية بالتبشير فى الأقطار الأجنبية قد أصبحت محور اهتمام هذه الجماعة ، إذ يؤخذ على طلاب الانتساب إلى هذه المدرسة تعهد بالخدمة فيما وراء البحار مدة ما ، بالراتب الذى تحدده لهم الجماعة ؛ وقد تخرّج من هذه المدرسة إلى الآن ٣٢ شيخا ، منهم ١٧ شيخا يعملون فى جنوب أفريقيا وجزر الملاى .

واللغة العربية ، وإن كانت لغة المؤلفات والمراجع التى تقوم عليها الدراسة بهذه المدارس الدينية ، إلا أنها لا تعطى ما تستحقه من العناية ؛ فالكتب التى تستعمل ، كلها من الكتب القديمة التى بطل استعمالها فى مصر ، والتى تزيد — بصعوبتها — عن مستوى أفهام الطلاب ، كما أنها ليست لغة التخاطب ، ولا لغة الشرح ؛ فالمدرس يتلو المتن العربى من الكتاب ، ثم يشرحه بلغة الأردو ؛ فكانت نتيجة ذلك ضعفاً عاما فى هذه اللغة بين المتخرجين ، ولهذا لا يتكلمون بها إلا بصعوبة كبرى عدا القليـل منهم ، ممن يكون قد انكب على دراستها بعد التخرج ؛ أما قدرتهم الكتابية ، فمما يشكر لهم ، إذ يكتبون بلغة عربية تكاد تكون لغة فصيحة ، والكثير منهم مؤلفات بها ، بل إن الأستاذ « مسعود عالم الندوى » يصدر مجلته « الضياء » باللغة العربية .

ولا تساهم الحكومة فى نفقات هذا النوع من التعليم ، إلا إذا كانت اللغـة الإنجليزية من بين مايدرس من اللغات كما هى الحال فى دار العلوم ، وندوة العلماء ، وسلطان المدارس للشيعة بلكنو ؛ وبذلك حُرم معظم هذه المدارس الدينية الإعانات الحكومية .

وقبل أن نفرغ من الكلام على جهود المسلمين فى نشر الثقافة الدينية بين أبناء المسلمين ، نذكر الجامعة المِلِّية فى دلهى .

الجامعة الملية : هيئة قد اقتضى وجودها ذلك العامل الذى اقتضى وجود جامعة عليكرة منذ خمسين سنة ؛ وهو السهر على نفع الشبان المسلمين الذين يريدون الجمع بين الثقافتين : المدنية ،

والدينية ، ولـكنهم لايريدون التخصص فى أمور الدين الإسلامى ، بل لايريدون الانقطاع عن تيار التعليم المدنى الذى يؤهل للوظائف الحكومية وغيرها .

اجتمع لفيف من قادة الفكر المسلمين ، وفكروا فى حال المسلمين فى الهند ، فوجدوا أن جامعة عليكرة لاتؤدى لهم الخدمة الإسلامية كاملة ، إذ أنها تعنى بمسايرة الجامعات الأخر فى نزعاتها المدنية ، بحيث أصبحت علوم الدين فيها اختيارية ؛ لذلك فكروا فى إنشاء هذه الجامعة مترسمين فيها خطوات من أنشأوا جامعة عليكرة ، أول مرة .

ولقد تحدثنا إلى « الدكتور زاكر حسين » عميد هذه الجامعة ، فألفيناه ذا شعور فياض بمسئولية رجال الوقت الحاضر أمام رجال المستقبل ؛ ولذلك جمع حوله عدداً ممن يشاركونه الرأى ، وساروا بهذه الجامعة مستبسلين ، ورسموا لهم خطة قائمة على التفانى فى سبيل واجبهم مع تضحية صوالحهم المادية من أجل الصالح العام ؛ فلا يتناول المدرسون أجورهم الضئيلة إلا إذا توافرت لديها الموارد . ومن أغرب مايذكر لهذه الجامعة : أنها وقفت أخيراً لبعض المال ، فبدل أن تدفع منه رواتب المدرسين المتأخرة ، ابتاعت به — بناء على موافقتهم — مساحة من الأرض ، لتنشىء عليها داراً للجامعة ، مستوفية كل الشرائط الصحية والنظامية ، تكون نواة لهذه الجامعة الفتية .

وتعنى الجامعة الملية بتدريس المواد باللغة الوطنية (الأوردو) ، ويكلف الأساتذة بتأليف الكتب ونشرها ، ولهم عناية خاصة باللغة العربية والعلوم الدينية ، التى تعتبر من أمهات العلوم بالجامعة .

وفى رأينا أن هذه الجامعة الملية وغيرها من المدارس الدينية ، تستحق عناية خاصة من الأزهر .

نواحى النشاط فى البيئات الإسلامية

إن من أهم نواحى النشاط فى البيئات الإسلامية فى الهند : تلك النزعة التعاونية القائمة على البر والتقوى . ومما ساعد على نشوء هذه الجماعات ، الاستعداد الفطرى ـ الذى ملك على كبار المسلمين كل نواحى تفكيرهم ـ الاستبسال فى نشر مبادىء الدين الإسلامى الحنيف .

ويتبرع المسلمون فى الهند ـ لمثل هذه المؤسسات — بسخاء لايناظره سخاء ؛ فكم رأينا من مبانٍ شاهقة وقف ريعها على أعمال البر منذ سنوات ، ناهيك بتلك المؤسسات التى تستمد العون من أوقاف لاحصر لها ، منذ أيام الملوك المسلمين فى تلك الديار .

ومما يحسن بنا ذكره فى هذا المقام ، أنه إثر ثورة سنة ١٨٥٧ ، صادرت الحكومة البريطانية كثيراً من هذه الأوقاف و باعتها بأبخس الأثمان ، ولكن المسلمين مالبثوا أن استعادوا أكثر ما أخذ منهم ، إما بمصالحة الحكومة البريطانية ، و إما بالشراء من جديد .

وتنقسم هذه المؤسسات الإسلامية إلى قسمين : —

(١) جمعيات تعمل على إحياء مجد الإسلام بالعلم والثقافة العامة والتعاون ؛ فمن ذلك :

جمعيات الشبان المسلمين : وهى منتشرة فى أنحاء الهند فى بومباى ، وأجرا ، ودلهى ، ولاهور ، وكراتشى ، وكلكتا ، وناجبور ؛ وهى تعمل على تكوين الأخلاق بالدين والثقافة العامة ، ووسيلتها فى ذلك إلقاء المحاضرات العلمية ؛ وهذه الجمعيات حديثة الوجود بالهند .

معهد البحوث الإسلامية ببومباى : ومن الجمعيات العظيمة الأثر أيضاً « معهد الأبحاث الإسلامية ببومباى » ؛ ويقوم بالعمل فيه شباب ناهضون من المسلمين المثقفين ، وقد اتصلوا بنا وذاكرونا فى نواحى نشاطهم ، وهم وإن كانوا من شباب طائفة الإسماعيلية ، إلا أنهم يبحثون عن حقيقة الإسلام وروحه السامى ، ولا يتقيدون فى بحثهم بنحلة خاصة ؛ وهم يعملون على إظهار كل مكنون علمى — من تراث المسلمين — بترجمة الكتب النافعة فى علوم الكون : كتاريخ ابن خلدون وغيره .

وقد تقدم لنا بعض أعضاء هذه المؤسسة بالرغبة فى أن توجه إليهم الدعوة لحضور العيد الألفى للأزهر .

جمعية اسلام سيفا سماج : ومن تلك الجمعيات جمعية « إسلام سيفا سماج » وهى جمعية حديثة التكوين ، عدد أعضائها محدود ، ولها سكرتير . وهم ينفقون على جمعيتهم — من حرّ أموالهم — نحو عشرة آلاف روبية فى كل عام (٧٥٠ جنيها مصرياً) ؛ ومن برنامجهم — لزيادة أعضاء الجمعية — أن يضم كل عضو من أعضائها عدداً محدوداً من أصدقائه ، على تبعته ، وأن يُقْسِم كل عضو أغلظ الأيمان على أن يكون عمله لأجل الإسلام لا لشهرة أو كسب مال ؛ ثم يضم كل واحد من هؤلاء أصدقاء جدداً بنفس الطريقة السابقة .

ومن عمل هذه الجمعية : تشغيل العمال المتعطلين المسلمين ؛ وقد وظفت فى خلال العام الماضى ١٨٠ شخصاً منهم عند تجار مسلمين . وهى تكمل العاطل بما ينقصه من التعليم ،حتى يتهيأ لأداء ما يطلب منه من الأعمال : كالحساب التجارى ، والكتابة على الـمكْتاب والاختزال وغيرذلك.

وهذه هى الجمعية التى تقدمت إلى فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر بالمدالية الذهبية ، كما ذكرنا في مقدمة هذا التقرير .

جمعية أنجمان اسلام : ومن هذه الجمعيات أيضاً جمعية « أنجمان إســـلام » فى بومباى ، وهى جمعية قديمة جداً ، أسست بأموال المسلمين ؛ ومن أغراضها نشر التعليم الإسلامى بين طبقات الطلبة الذين يتجهون فى دراساتهم اتجاهاً مدنياً . وقد ظلّت هذه الجمعية — سنوات طوالا — تحقق هذه المبادىء ، إلى أن منيت فى شؤنها المـالية بمـا لا محلّ لذكره الآن ، فأعانتها الحكومة وتدخلت فى أعمالها .

جمعية أنجمان حماية الاسلام : ومن هذه الجمعيات جمعية « أنجمان حماية الإسلام » بلاهور ؛ وهي جمعية قوية تضم معظم شباب البنجاب المسلمين المثقفين ، ويرأس مجلس إدارتها اليوم « السير محمد إقبال » شاعر الهند وفيلسوفها العظيم .

وقد ساهمت فى إنشاء كلية للآداب من وحدات جامعة البنجاب ، وهى تعنى بالدراسات العربية والدينية ؛ وعميدهذه الكلية اليوم هو الأستاذ«عبد الله يوسف على » من موظفى الحكومة الهندية القدماء .

وتدير الجمعية مدرسة ثانوية للبنات ، وتعتزم أن تضم إليها كلية عليا ؛ وهى اليوم فى صدد وضع مناهج لهذه الـكلية . ولقد تقدمت إلينا هذه الجمعية بالرغبة فى أن نضع لتلك منهاجا خاصاً في علوم الدين . وقد اجتمعنا مع حضرات الأعضاء ، وتذاكرنا فى هذا المشروع ، حتى جمعنا

معلومات تصلح أساساً لوضع المنهاج الديني الذي يناسبها ، ووعدناهم بعرض الأمر على رياسة الأزهر

أما *الكلية الإسلامية* في بشاور ؛ فهي كذلك من المؤسسات التابعة لجامعة البنجاب ، عمل على تأسيسها مسلمو مقاطعة الحدود بزعامة « السير عبد القيوم خان » من أعيان هذه المقاطعة ورئيس وزرائها الآن . وهي تعنى باللغة العربية والعلوم الدينية ، إلى جانب المناهج المدنية .

جماعة حزب الله : وفي بهاولبور جماعة « حزب الله » ، وهم يتزيون بزي الجند ، ويقومون بما تقوم به جمعيات الشبان المسلمين عادة .

جمعية « أنجمان مسلمانى بنجابى » : وفي كراتشي جمعية « أنجمان مسلمانى بنجابى » وهي مكونة من أهل البنجاب المقيمين في هذا الثغر ، وقد نصبت نفسها لمعاونة حجاج بيت الله الحرام ، وتسهيل السبيل إلى الحج ، وما إلى ذلك من مساعدة فقراء المسلمين .

جمعيات تحفيظ القرآن : ويوجـــد في بعض أنحاء الهند جمعيات لتحفيظ القرآن ، وتجويد تلاوته ، وقراءته بالروايات ، وقد شهدنا من هذه الجمعيات : جمعية القراء بدلهي ، حيث عقدت حفلتها السنوية في « جُمعة مسجد » تحت رعاية البعثة ، فاستمعنا إلى كثير من الخريجين يتلون القرآن الكريم .

جمعية الخلافة : أما جمعيــة الخلافة ، وهي تلك الجمعية الذائعة الصيت في أنحاء العالم الإسلامي ؛ فقد كانت منذ سنوات ذات نشاط يجذب الأنظار ، ولقد جمعت من كافة أنحاء الهند من المال ما لم تجمعه جمعية أخرى ، ولـكن رُوي لنا أن تضاؤل شأن الخلافة العثمانية تضاؤلا أدى إلى زوالها — أيأس الـكثيرين ممن اعتادوا البذل لهذه الجمعية ، حتى إنه كاد ينقطع ندى الأكف عنها ، وهاهي ذي اليوم قائمة في مركزها العام في (بومباي) يدير شؤونها «مولانا شوكت علي » ، ويقوم بأعمال السكرتارية فيها « مولانا عرفان » ، ولـكنها غير بادية النشاط في هذه الأيام .

هذه أمثلة فقط من نواحي نشاط المسلمين التعاوني ، وقد ذكرنا بعضاً من تلك الجمعيات المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، ولو حاولنا حصرها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

***

(ب) جمعيات تقوم بتبليغ الإسلام بين الطوائف غير الإسلامية :

أهم هذه الجمعيات وأعظمها نشاطاً هي « أنجمان تبليغ الإسلام» بأمبالا ، وهي جمعية عظيمة

النشاط فى أعمال التبليغ ، ولا يقتصر نفوذها على إقليم البنجاب الذى ظهرت فيه ، بل يتعداه إلى معظم أنحاء الهند .

ولها فى حركة إسلام المنبوذين نشاط يذكر ويشكر ، فقد ساهمت بقسط وافر من النشاط والمال فى « ترافنكور » ، وأسست مركزاً من مراكز التبليغ له شأن عظيم فى « ناجبور » . .

ومن أهم شخصيات هذه الجمعية : الأستاذ غلام بهيج نيرانج ، وهو محام أمام المحكمة العليا فى لاهور ، وعضو فى الجمعية التشريعية المركزية فى دلهى ؛ وهو حركة دائمة لايستقر فى مكان واحد بضعة أيام ، ويجوب بلاد الهند من أقصاها إلى أقصاها مرات فى كل عام ، وهو شخصية لايقوم بينه و بين الحكومة المركزية عداء .

الجمعية الأحمدية : أما الجمعية الأحمدية اللاهورية ، فهى من أنشط الجمعيات دعاوة للإسلام فى خارج بلاد الهند ؛ ويقول مؤسسوها إنهم يدعون الناس إلى اعتناق الدين الإسلامى ، مع عدم التمييز بين مذهب وآخر ؛ ولكنهم فى داخل الهند يبشرون بمبادئهم الأحمدية اللاهورية ، فيستهدفون لغضب الجماهير وسخطهم .

نواب محمد يارجنج : وفى حيدر آباد رجل يعمل بمفرده ما تعمله الجمعيات ، هو « نواب محمد يارجنج » الذى يقوم بالتبليغ بين المنبوذين فى القرى ، ومع قصر عهده بهذا العمل الجليل ، فقد أبلى فيه بلاءً حسنًا . ويعتبر عمله فى حيدر آباد قاعدة لأعمال التبشير المستندة إلى المال ، وهو يبذل بسخاء فى هذه السبيل من ماله ، ومما يرد إليه من الموسرين الخيِّرين .

محمود فاندرمان : ويقوم إلى جانبه مبلغ خطير الشأن هو «محمود فاندرمان». كان مسيحياً وأسلم بعد أن كان آباؤه وأجداده من المبشرين المسيحيين . وقد ورث عنهم التفنن فى أعمال التبشير ؛ فيطبق العلم على العمل بمهارة جعلته محط أنظار الكثيرين ، ولهذا فإن عمله منظم ، ويصلح أن يكون نواة لعمل كبير ، لا فى بلاد حيدرآباد وحدها ، بل فى غيرها من أنحاء الهند أيضاً .

أما ناجبور ، فإنها مركز من مراكز العمل المنتج ، يقوم فيها ثلاثة من كبار الدعاة للإسلام بين المنبوذين .

١ — « فضل الحق صاحب » ، ويقضى أوقات فراغه فى مناطق المنبوذين حيث افتتح مدرسة لتعليم أبنائهم ؛ وهو شديد الغيرة على الإسلام ، وله عقلية منظمة ، ويستطيع أن ينتج إنتاجا مضاعفاً إذا وجد تشجيعاً من أى نوع كان .

٢ — الأستاذ « فضل رحيم » المحامى ، وهو كذلك من المعنيين بشئون المنبوذين ونشر الدين الإسلامى بينهم ، وله علاقة طيبة بزعماء المنبوذين فى هذه المنطقة ، ولكنه أنفق كلّ ما كان مدخراً لديه — على قلته — فى هذا العمل ، وأصبحت موارده أضيق من أن تساعده على الاستمرار ، لاسيما وأن حاله النفسية قد تطرّق إليها الملل من سلوك الدكتور أمبيدكار ، الذى كان فضل رحيم يعلق على إسلامه أهمية كبرى .

٣ — « أسرار أحمد » ، وهو حكيم من خريجى ندوة العلماء ، ذهب إلى ناجبور مدرساً بمدرستها الإسلامية ، ولكنه مالبث أن عنى بشئون الدعاوة الإسلامية ، وله صلات طيبة بأكابر القوم ، ويرجى منه النفع العميم ، إلا أن موارده الآن تضيق عن القيام بما ندب نفسه له من عمل خطير .

هذا قليل من كثير من نواحى النشاط فى أعمال التبليغ ، ولكنك أينما تسير فى الهند تجد الكثير من هذه الجمعيات .

إلا أن التعامل مع بعضها — وخصوصا الصغيرة منها — يستلزم اليقظة والحذر ، إذ ما من عمل من هذا النوع ، إلا وقد دخل فيه المحترفون ، والذين يعلنون عن أنفسهم ، ويقولون أكثر مما يفعلون .

أعمال البعثة

١ — العمل على التوفيق بين علماء الدين والعلماء المدنيين :

ما كدنا ننزل إلى بلاد الهند حتى تجلت لنا الفُرْقة المؤلمة بين علماء الدين والعلماء المدنيين ، وقد حاولنا أن نرجع هذا الخلاف إلى أصوله فاتضحت لنا الحقائق الآتية :

التعليم الدينى والتعليم المدنى منفصلان بعضهما عن بعض أتمّ انفصال ؛ ذلك بأن الحكومة قد قررت ــ نظراً لتعدد الأديان فى الهند تعدداً لا مثيل له فى أية بقعة أخرى على سطح الأرض ــ ألا يدرس الدين فى المدارس بكافة أنواعها ؛ فإذا خرج الطفل إلى المدرسة وجب على ولى أمره أن يختار له إحدى طريقين : إما تعليم مدنى لا يعرف فى ثناياه شيئاً عن الدين ، وإما تعليم دينى يبعد به كل البعد عن وظائف الحكومة .

وبدهى أن اختيار معظم أولياء الأمور يقع على النوع الأول من التعليم ؛ حتى طال الزمن على ذلك ، فتولى شئون الحكم فى الهند طبقة من خريجى الجامعات المدنية التى لا تمتّ إلى الدين بصلة ، وبقى خارج كراسى الحكم أولئك الذين تخرجوا فى الجامعات والمدارس الدينية ، واستحوذ الفريق الأول على النفوذ الزمنى ، فى حين استحوذ الفريق الآخر على النفوذ الروحى . وكان من رعايا الفريق الأول عامة من تربطهم بشئون الحكم رابطة ، أمّا رعايا الفريق الثانى فهم عامة الشعب .

عندئذ دب التنافس بين الفريقين ، وحقد كلٌ منهما على الآخر ، فاستحكمت العداوة بينهما ، ثم تولدت البغضاء بانصراف كثير من رجال الفريق الأول عن شئون دينهم العلنية : كالتردد على المساجد ، وأداء فريضة الحج وغير ذلك ، فاستهدفوا لطعن الفريق الثانى الذى تمادى فى التشهير بالفريق الأول ، حتى رمى الكثير من رجاله بالكفر والزندقة .

ثم نشأت الأجيال الجديدة — بعد ذلك — على ما يلقنه رجال العلوم الكونية لتلاميذهم من الحقد على رجال الدين ورميهم بالقصور وضيق الفكر ، كما نشأ على أيدى العلماء الدينيين جيل أُشرب كراهة الطلبة المدنيين ، لظاهر انصرافهم عن شئون الدين .

ولو حاولنا أن نتتبع أدوار هذا الجدل العنيف بين الفريقين لطال بنا البحث . على أن بعضاً

من عقلاء المفكرين رأى أن العلاج الوحيد لهذه الحال لا يأتى إلا بأن ينشأ جيل جديد يكون وسطا بين الفريقين ، وذلك بأن يعطى طلبة الجامعات المدنية بعضاً من علوم الدين ، وينشأوا على القيام بواجباتهم الدينية فى السر والعلانية ، وأن ينشأ كذلك فى الجامعات الدينية نظام يجمع فيه الطالب ، إلى علوم الدين ، بعضاً من العلوم المدنية ؛ وقد تحقق المقصد الثانى فى « دار العلوم ندوة العلماء » فى لكنو.

ولما وصلت البعثة إلى الهند ، وهالها مارأت من الفرقة بين الفريقين ، رأت أن تكون باكورة أعمالها إلقاء المحاضرات والتحدث فى المجالس الخاصة على الضرر الذى يصيب الإسلام من هذه الفرقة ، وأنه من صالح كل من الفريقين أن يصالح الفريق الآخر بالتساهل معه .

ومن أشد ما لاقيناه من هذه الصعوبات : أن الرجال المدنيين يرمون علماء الدين بأنهم منقسمون على أنفسهم شيعاً يكفر بعضها بعضاً ، وأنهم هم السبب الأساسى فيما أصاب المسلمين من تفرق، كما قالوا لنا : إنهم مستعدون لمصالحتهم إذا صفت نفوسهم، وظهر استعدادهم بالتغاضى عن الصغائر.

أما العلماء الدينيون فقد كنا نظهر لهم مزايا هذه المصالحة ، وندلل لهم على أنه لاغنى لطالب الدنيا عن الدين ، ولا غنى لعالم الدين عن جهود عالم الدنيا .

وإنا لنعتقد أننا قد نجحنا فى هذا بقدر ما اتسع له وقتنا ؛ وفى رأينا أن الأزهر إذا فكر فى إرسال مبعوثين إلى الهند — سواء أكانوا لأعمال التبليغ أم لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى فى بعض المدارس والجامعات — فأول واجب يقع على عاتق هؤلاء، هو أن يبشروا بهذا الرأى الذى كان نبراس الجامعة الأزهرية فى حياتها الجديدة .

٢ — العمل على إزالة الفوارق بين طوائف المسلمين :

وثمت ظاهرة أخرى فى الهند خليقة بالتفكير ، تلك هى الفرقة السائدة بين علماء الدين بعضهم و بعض . وقد سبق الكلام على المذاهب والشيع فى الهند ، ومقدار ما للنزعة المذهبية من أثر فى تكوين عقليات الجماهير وطرق تفكيرهم ، حتى إن أصحاب كل ملة أو نحلة لا هم لدى أتباعهم ومريديهم إلا الطعن على أصحاب الملل والنحل الأخر ، كائناً من كان معتنقها . وقد حاولنا استقصاء الأسباب المؤدية إلى ذلك ، فهالنا ما سمعنا والعهدة على الرواة :

يقولون : إن وظيفة « مولوى » فى الهند تعود على صاحبها بالخير الجزيل والرزق الوفير نظراً للاستعداد الفطرى عند العامة للجود بما ملكت أيمانهم عن طيب خاطر لأول طالب يطلبه باسم الإسلام؛ لذلك حاول هؤلاء المولوية الاستئثار بأتباعهم خالصين لهم فنفروهم من المولوية الآخرين

بالطعن فى الشيعة أو المذهب المخالف ، وبذلك أصبح الإسلام فى الهند مجموعة من المذاهب لا تربطها رابطة .

هذا ما رواه لنا الرواة ، أما ما أسفرت عنه محادثاتنا مع من قابلنامن هؤلاء المولوية، فتصغير لشأن هذا الخلاف وتكذيب لما ترامى إلينا من أنبائه ؛ إلا أن الظواهر قد دلت على أن الخلاف قائم لا محالة ، وهو من التركز بحيث يصعب على أمثالنا — ممن لهم وقت محدود — أن يعملوا فيه عملا حاسماً .

وأقرب ما يحضرنا من أدلة على هذه التفرقة المشئومة ، ما رأيناه فى مدرسة « السند » الإسلامية بكراتشى ، وهو وجود مسجدين داخل أسوار المدرسة : أحدهما للشيعة ، وثانيهما لأهل السنة .

وقد قال لنا ناظر المدرسة — وهو انجليزى — عند ما تحدثنا إليه فى شأن هذه الفرقة فى دور العلم ، التى يجب أن تعمل على وحدة التفكير بين طلبتها ومدرسيها : « إن وجود مسجدين فى دار هذه المدرسة ، كان تنفيذاً لإرادة الواقفين ، وإن الطلبة يعيشون مع بعضهم فى سلام ووئام ، لا يفصلهم إلا وقت الصلاة وتنوع المساجد » .

غير أننا ما أردنا أن نضيع الفرصة ، فما ضمنا مجلس مع فريق من هؤلاء إلا ضربنا له الأمثال بما جبلت عليه بلادنا العزيزة من تسامح بين أصحاب المذاهب ، وكم من مرة أشدنا بذكر طريقة تدريس الفقه فى الأزهر الشريف ، وكيف أن طلبة الجامعة الأزهرية — على اختلاف مذاهبهم — تضمهم صلاة جماعة واحدة ، ويؤمهم إمام واحد ، بل كم كان جميلا أن نذكر لهم : أن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر — وهو سُنِّى بالطبع — قد استقبل الشيخ عبد الكريم الزنجانى — وهو من أئمة الشيعة — فأكرم وفادته ، وعنى به العناية كلها ؛ بل عند ما كانت تقوم الصلاة كان أحدهما يصلى مؤتما بالآخر ، لا فرق بين سنى وشيعى .

وقد تقدم إلينا كثير من ذوى الرأى ، بأن مبعوثى الأزهر إلى الهند فى المستقبل ، يجب أن يركزوا جهودهم فى تنوير الجماهير عن عدم وجود فارق جوهرى بين المذاهب على النحو الذى يبثه المولوية الحاليون ؛ ففى ذلك لجمهور المسلمين خدمتان : الأولى دينية بحتة ، وهى رد الإسلام إلى أصوله فى نفوس الجماهير ، أما الثانية فوطنية : هى لم الشعث وتكوين الصفوف بما يعود على الأمة بالفائدة .

٣ — تنظيم البعثات الهندية إلى الأزهر .

وقد كان من أهم ماعنينا به : محادثة زعماء البلاد ، وقادة الحركة العلمية فيها ، ورجال الحكومة ، بشأن البعثات الهندية إلى الأزهر . وقد دلت تحرياتنا على أن كثيراً من خيار الناس فى الهند ، كانوا يجهلون أن لبلادهم طلبة فى الأزهر ؛ فى حين كان آخرون يقولون إن هؤلاء يسافرون إلى مصر ، و يعودون إلى بلادهم ولم يطبعوا بطابع خاص من الثقافة ؛ على حين كان آخرون يألمون من أن الطلبة الذين يفدون إلى الأزهر تطول إقامتهم فيه لغير سبب ظاهر .

أما نحن فقد أطلعناهم على جلية الأمر بشأن هؤلاء الطلبة ، وكيف أن كثيراً منهم لايستفيدون من الدراسات الأزهرية ؛ نظراً لضعف استعدادهم العلمى ، كما أن البعض منهم ينصرف عن شئون الدراسة إلى غيرها ، نظراً لضعفهم الخلقى ؛ فى حين أن فريقاً ثالثاً يعتقد أن مقامه بالأزهر — الذى يدر عليه بعض الإعانات الشهرية — خير له من العودة إلى بلاده التى يحتمل ألا يجد فيها عملاً يعيش منه .

هذا إلى أن الكثرة المطلقة من الطلبة الغرباء يختارون لدراستهم نظام « الغرباء » ، وهو نظام قلما يكفل التثقيف الأزهرى الكامل .

و بعد محادثات شتى ، استقر الرأى على ضرورة تنظيم هذه البعثات ، وهنا عرضت علينا مجموعة الآراء الآتية :

(ا) أن يوكل إلى بعض رؤساء المؤسسات الإسلامية العلمية بالهند فرادى ، تزكية طلاب الانتساب إلى الجامعة الأزهرية ، على أن يرشحوا عدداً — يحدد بالاتفاق بينهم و بين الأزهر ، وعلى أن يعلن عن التسهيلات التى يمنحها الأزهر لهؤلاء الطلاب ، وعن المستوى العلمى المطلوب . بهذا يتسنى للأزهر أن يحصل على طبقة من الطلبة أنفع من الطلبة الحاليين ، وكذلك تنتفع الهند بأعمال هؤلاء عند عودتهم إلى بلادهم .

(ب) أن يقع اختيار الأزهر على عدد من كبار رجال التعليم فى الهند ؛ فيكون من بينهم لجنة تسمى « لجنة الترشيح للأزهر » ، وعلى هذه اللجنة أن تتلقى طلبات الراغبين فى الانتساب إلى الازهر ، فتفحص هذه الطلبات وتزكى من أصحابها من تشاء .

(ج) أن يشترط فى طالب الانتساب إلى الأزهر : الحصول على توصية كتابية من رجل من رجال الفكر فى الهند ؛ ممن قامت بينهم و بين الأزهر صلة عن طريق هذه البعثة ، وألا ينظر الأزهر فى طلب ليس مشفوعا بمثل هذه التزكية .

(د) أن يوكل إلى الحكومات الإقليمية فى الهند ، أن تكون واسطة الاتصال بين الأزهر وطلاب الانتساب إليه ، ففى ذلك أمان للأزهر من أن يرد إليه من يعتبرون خطراً على النظام العام .

وفى رأينا أن الأزهر يستطيع بعد فحص هذه الاقتراحات أن يصل إلى قرار فى هذا الشأن ، يكون من ورائه فائدة لكل من الأزهر والهند .

٤ — تأسيس علاقات صداقة بين الأزهر ورجال الهند الممتازين :

وقد كان سفر البعثة إلى الهند فرصة سانحة لتأسيس علاقات الود والصداقة بين الأزهر من ناحية ، وبين رجالات الهند الممتازين من ناحية أخرى ؛ فلقد مدت البعثة يد الصداقة إلى زعماء الحركة الفكرية والعلمية فى تلك البلاد ، فآنست منهم إقبالا على صداقة مصر يجدر بنا أن نعنى به أشد العناية .

وإنا لنتشرف بأن نلحق بهذا التقرير كشفاً بأسماء هؤلاء الأصدقاء ، راجين أن تدوم المراسلات بينهم وبين الجامعة الأزهرية .

وحبذا لو عنينا — كلما حضروا إلى مصر — بإطلاعهم على الأزهر فى ثوبه الجديد ، ومايقوم به من خدمة شاملة للدين واللغة ؛ فى ذلك توطيد لعلاقات الود التى بدأتها البعثة ، ومساعدة على نشر الثقافة الدينية فى الأقطار الإسلامية .

ومن بين هؤلاء : فريق من رجال العلم ؛ يجدر بمصر على العموم ، والأزهر على الخصوص أن ينتفع بالأيام التى يقيمونها فيها ، فيدعوهم لإلقاء المحاضرات على الطلبة المصريين فى شئون الهند ، مما يعود على كل من البلدين وأهله بالخير .

هذا ولا مندوحة عن القول بأن الهند ومصر بلدان يشتركان فى كثير من الشئون ، والإسلام صلة رحم بينهما . ولا يستطيع إنسان ـ مهما يكن له من سعة الاطلاع وبعد النظر ـ أن يتكهن بالنتائج الثقافية والدينية التى تثمرها هذه الصداقة ؛ ولنا فيما تقوم به الجامعة المصرية ـ نحو ضيوفها الأجانب من الغربيين — خير مثل على صواب ما نذهب إليه .

وحبذا لو استطاع الأزهر الشريف أن يمنح درجة العالمية الفخرية ، لفريق من رجال الهند الممتازين ؛ فإن فى ذلك تقوية لأواصر الصداقة بين الطرفين ، وحفزاً لمئة من أفاضل الهنديين للإقبال على هذه الصداقة ؛ وإن لمثل هذا التصرف النبيل من الأزهر أثره فى عواطف الهنديين عامة ، ورجال العلم منهم خاصة .

٥ — العيد الألفى للأزهر :

وها هى ذى فرصة ذهبية تتيح للأزهر أن يخطو خطوة عملية فى هذه السبيل ؛ فبعد سنوات معدودات يحتفل الأزهر احتفالاً عالمياً بعيده الألفى ، ومما لاشك فيه أنه سيتقدم للجامعات الأوروبية والأمريكية بالدعوة لحضور هذا العيد ؛ فهل يتاح لنا أن نرى فى مصر ممثلى جامعات الهند ورجال الفكر فيها ؟

أكبر ظننا أن الأزهر الشريف — وعلى رأسه حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر « الشيخ محمد مصطفى المراغى » — لن تفلت من بين يديه هذه الفرصة ، لاسيما وأن كثيراً من رجال العلم والفكر — فى تلك البلاد — قد طالعونا برغبتهم فى أن يتاح لهم حضور هذا العيد الذى يجب ألا تستأثر به مصر وحدها ، خصوصا وقد أعلنت أن الأزهر جامعة عالمية ؛ لكل مسلم على وجه الأرض حق فيها .

٦ — مشروع تفسير القرآن الكريم :

وقد عنيت البعثة عناية كبرى بالتحدث إلى زعماء الهند ، ومحاضرة الطلبة خاصة ، والمثقفين عامة ، على مشروع تفسير القرآن الكريم ، الذى يقوم به الأزهر الآن ؛ وقد شرحنا الضرورات التى استلزمت هذا التفسير الحديث ، كما أشدنا بالحكمة التى تجلت فى تأليف اللجنة ، من حيث إنها جمعت بين رجال تثقفوا ثقافة دينية كاملة ، ورجال آخرين ساهموا فى الثقافتين الدينية والمدنية ، وتلقنوا العلم على أحسن أساتذته بالجامعات الأوربية ؛ فآنسنا من الجميع ارتياحاً عظيماً إلى هذا المشروع الذى يرجى منه للإسلام فوائد تفوق الحصر.

وجميعهم يتوجهون بالشكر لله تعالى ، أن هيأ للأزهر تلك الفرصة التى ستمكنه إن شاء الله من أداء خدمة كبرى للإسلام ؛ وكم من خطيب قام يعاق على خطبنا بإزجاء جزيل الشكر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ، لصائب تفكيره وثاقب نظره .

ولما أن تطرقنا بالحديث إلى مشروع ترجمة هذا التفسير إلى اللغات الأجنبية ، طولبنا بأن نرفع الرجاء صادقاً ، إلى فضيلة الأستاذ الأكبر : أن تكون اللغة الأردية من بين اللغات التى يترجم إليها تفسير القرآن الكريم ؛ فإنها لغة عامة المسلمين فى الهند . وقد بلغ تشوقهم إلى ذلك المشروع أن طلبوا ألا يرجىء الأزهر الترجمة حتى ينتهى من التفسير ، بل الأوفق أن يترجم كل جزء تنتهى اللجنة من تفسيره .

ومما يذكر لحكومة صاحب السمو العالى « نظام حيدر آباد » بالشكر والثناء : ما ورد على لسان معالى وزير المعارف — عند ما سمع بمشروع الترجمة — فقد قال : إنه يسره كثيراً ، أن يعلم تفاصيل ذلك المشروع ، حتى يتسنى لحكومته أن تساهم فى مشروع الترجمة إلى لغة الأردو . وأظهر استعداد الحكومة للقيام بمشروع هذه الترجمة لحسابها الخاص ، وكذلك بطبع عشرات الألوف من نسخ هذه الترجمة .

أما السير « روس مسعود » وزير معارف سمو « نواب بهوبال » ، فقد أبدى ارتياحاً عظيماً للفكرة ، وطلب الاطلاع على تفاصيلها ؛ لأنه يرجو أن تبذل حكومته مساعدة تذكر فى هـذه السبيل ، ولكنها لا تستطيع تحديد موقفها قبل أن تطلع على التفاصيل .

وقد أبديت إلينا بشأن هذا التفسير فكرة تستحق البحث : هى أن الأزهر يجدر به أن يشرك بعض علماء الهند فيه ؛ ولكنا أجبنا على ذلك بأن ما يحق للهند يحق لغيرها من الدول الإسلامية ، فإذا اتسعت دائرة المفسرين هذا الاتساع تعرض المشروع للعطل الناشىء عن الجدل والنقاش ، ثم عن عدم تكامل الأعضاء ؛ ورأينا أن الأجدر من ذلك بالنظر ، هو أن يسمح بالحضور فى لجنة التفسير ، لاثنين أو ثلاثة من العلماء الهنود ، ليكونوا عوناً لقسم الترجمة إلى الأردوا ، إذا خرج المشروع إلى حيز التنفيذ .

ولما أن تذاكرنا هذا الأمر مع « نواب مهدى يارجنك » وزير معارف حيدر آباد ، أظهر استعداد حكومته لأن توفد العالمين اللذين يقع عليهما الاختيار — على نفقتها — تمهيداً لمشروع ترجمة التفسير.

٧ — مجلة الأزهر :

وقد كان لمجلة الأزهر نصيب من نشاط البعثة ولكنه محدود ؛ ذلك بأن المجلة غير ذائعة فى الهند الذيوع الذى يسمح للقوم بأن يتتبعوا حديثنا فى شأنها ، ولكن « السيد سليمان الندوى » وهو من كبار علماء الندوة ، ذكر لنا أنه يقرؤها بانتظام ، وقد كون رأيه فيها بأنها ينبغى أن تكون أرقى من حالها اليوم ، لتناسب ماللأزهر من مكانة سامية .

وقد شاءت الظروف أن يفتتح باب الكلام فى هذا الموضوع قبيل سفر القطار بحيث لم تتسع لنا فرصة لتفصيل الحديث ، على أنه وعد بأن يكتب إلينا فى هذا الشأن .

وفى رأينا أن المجلة يجب أن ترسل إلى كثير من الأمكنة فى الهند ، فإنها خير مذكر للقوم

بالأزهر ورسالته ، وهى الكفيل بأن يستمر الاتصال الروحى بين القطرين ، وحبذا لو عنيت إدارة المجلة بأن تطلب إلى بعض عظماء الهند — أمثال السيد سليمان الندوى ، ومولانا أبى الكلام أزاد — أن يوافوها بالمقالات بين آن وآخر .

٨ — دور الكتب الدينية والعربية :

بالهند كثير من دور الكتب الدينية والعربية ، يحتوى عدد منها مؤلفات لا يستهان به ؛ ومن أهمها مخطوطات يرجع عهدها إلى العصر الإسلامى فى تلك البلاد ، وكثير منها استورده ملوك المسلمين من بلاد فارس .

ولم يتسع وقت البعثة لبحث مستفيض فى هذه الكتب ، غير أننا كونّا فكرة عامة عنها ؛ و يجدر بالأزهر — الذى يعتزم تنظيم مكتبته ، وتوسيع الانتفاع بها — أن يعنى بدور الكتب التى أشرنا اليها . وحبذا لو فكر فضيلة الأستاذ الأكبر ، فى أن يوفد أحد المتخصصين فى شئون المكتبات ، يكون له إلمام بما فى المكتبة الأزهرية من المخطوطات ، لزيارة دور الكتب التى سنذكرها هنا ، عسى أن يجد فيها ما يكمل بعض المخطوطات ، أو يلقى بعض الضوء على تاريخها ، وإلا فلا أقل من أن يكلف بعض المصريين الذين يبعثون إلى الهند — فى شئون الثقافة الإسلامية — بأن يطوفوا بتلك الدور طواف الباحث المدقق ، على أن يوافوا الأزهر بما يرون .

ومما أسفنا له أن كثيراً من هذه الدور ، لم تطبع لها فهارس منظمة ، ولذلك ما جاءت البعثة إلا بما استطاعت أن تحصل عليه من هذه الفهارس .

وفيما يلى بيان بهذه الدور :

١ — مكتبة بهوبال

٢ — مكتبة رامبور (وفيها أكبر عدد من المخطوطات)

٣ — مكتبة جامعة البنجاب بلاهور

٤ — مكتبة الأستاذ محمد شفيع مدير الكلية الشرقية بلاهور :

٥ — مكتبة الكلية الإسلامية فى بشاور

٦ — مكتبة بهاولبور الخاصة بسمو النواب

٧ — المكتبة الآصفية بحيدر آباد

٨ — المكتبة السعيدية بحيدر آباد

آراء فى الثقافة الاسلامية

لا شك فى أن مصر بلد اعتُرف له بالزعامة الثقافية بين أمم الشرق قاطبة ، وقد شهدنا بأعيننا فى الهند ما يدل على سمو مكانتها بين هذه الأمم ، مما عرضنا له فى فصول سابقة من هذا التقرير ، غير أننا نشير هنا بوجه خاص إلى ما تنتظره الهند الإسلامية من مصر فى عهدها الجديد ، ذلك بأن تساهم مصر فى رفع مستوى اللغة العربية فى المدارس والجامعات الهندية ، محافظة منها على هذه اللغة التى تصل بين أمم الإسلام فى العالم كافة .

فما قصدنا إلى مؤسسة علمية ، ولا تحدثنا إلى شخصية كبيرة ، دون أن يرد ذكر هذا الأمر ، وهم يتطلعون إلى مصر ، لأنها القطر الوحيد الذى يستطيع أن يقوم بهذا العمل الجليل اليوم .

وفيما يلى بيان بما وصلت إليه البعثة فى هذه السبيل :

أولا : فى امارة بهوبال الاسلامية : عند ما كنا فى زيارة إمارة بهوبال الإسلامية ، وكان سمو النواب متغيباً ، تحدثنا — فى هذه الشئون — إلى « السير روس مسعود » وزير المعارف ، فقال « إن البلاد هنا فى مسيس الحاجة إلى طبقة من العلماء المصريين ، يجمعون بين علوم الدين و بين العلوم المدنية ، مع التمكن فى اللغة العربية وآدابها والطرق الحديثة لتدريسها ، وتقريب علومها إلى الأذهان ؛ ولو استطاعت مصر أن تستغنى عن واحد أو أكثر من هؤلاء ، لاستخدمتهم حكومة بهوبال . ولكن الحكومة تشترط فيمن يبعث إلينا أن يكون مثلا عالياً للإسلام ، فى حياته العملية والعلمية ، وأن تكون حياته نبراساً يهتدى به العامة فى حركاته وسكناته » .

وقد قال السير روس مسعود أيضاً : إن الحكومة على استعداد لأن تمنح مثل هذا المبعوث كل التسهيلات اللازمة ، إلى راتب يناسب مؤهلاته . وظهر من خلال الحديث أنهم على استعداد لدفع راتب شهرى قدره أربعون جنيها مصريا ، مع حق الإقامة فى منزل تعده له الحكومة فى حى كبار الموظفين ، فضلا عن امتيازات أخر يستطيع المبعوث الحصول عليها ، بما يكون له من مزايا ، تكون موضع تقدير ولاة الأمر بعد حضوره .

ولما دعينا لمقابلة سمو النواب فى أخريات أيام رحلتنا في الهند ، فتح سموه الكلام في نفس الموضوع ، ثم قال : إن حكومته قد تحتاج إلى اثنين أو ثلاثة من هؤلاء ، بالشروط التى تكلم عليها السير روس مسعود ، وأنه يرجو أن يعنى الأزهر بهذا العرض ، وقد صرح سموه بأنه قوى الأمل في ألا يمضى عام واحد ، قبل أن يتحقق هذا المشروع ، كما أبدى سموه الرغبة في أن يعمل الأزهر

على إعداد طبقة من علمائه البارزين للخدمة فيما وراء البحار ، فإن هذا أفضل عمل يستطيع الأزهر أن يقوم به لتدعيم أواصر الصلات العلمية والدينية بين مصر والأقطار الإسلامية الأخر .

ثانيا : فى جامعة عليكرة : عندما كنا فى زيارة جامعة عليكرة عرضنا مع الدكتور ضياء الدين ، حال قسم اللغة العربية بالجامعة ؛ ومن ثم قال الدكتور إنه يوافقنا على ما ذهبنا إليه ، ويرى أن الطريق الوحيدة للسير بهذا القسم إلى الأمام ، هو الاعتماد على الأزهر فى تدريس اللغة العربية ، والأخذ بالوسائل الحديثة التى تتبع فى تعليمها بمصر ، وفى تشجيع الطلبة على التخاطب بهذه اللغة ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان بهذا القسم واحد أو اثنان من المدرسين المصريين ، وإن الجامعة على استعداد لأن تدفع راتب أستاذ وآحد ، فإذا رأى الأزهر أن يرسل إليها اثنين — وقبل أن يكون راتبهما مناصفة بين الأزهر وجامعة عليكرة — فإن الجامعة يسرها أن تتقدم بينها وبين الأزهر المحادثات فى هذا الشأن .

ثالثا : فى الجامعة الملية : لما كانت الجامعة الملية — كما ذكرنا — مؤسسة تقوم على تدعيم الدين الإسلامى واللغة العربية فيها ، ربطاً للهند الإسلامية بكافة الأقطار الإسلامية الأخر ، فقد عنيت الجامعة بالدين واللغة معاً ، ولكن مواردها — كما ذكرنا — لا تساعدها على التوسع ؛ لكل هذه الاعتبارات ، تقدم إلينا الدكتور « زاكر حسين » عميد الجامعة ، برجاء أن يساهم الأزهر فى هذا العمل الجليل ، فيقرر إيفاد مدرس أو مدرسين — على نفقته — لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى بالجامعة .

وتوسيعاً للانتفاع بهؤلاء المبعوثين ، يقترح الدكتور زاكر حسين ألا ينحصر عملهم فى التدريس بالجامعة الملية ، بل يصح أن يتفق مع الجامعات والمؤسسات الإسلامية الأخر على أن يزورها المبعوثون زيارات دورية ، لإلقاء المحاضرات وتشجيع الاهتمام باللغة العربية والدين .

رابعا : فى امارة رامبور : زرنا مدرسة للعلوم الدينية والعربية تديرها حكومة سمو النواب ، ولما تحدثنا على هذه المدرسة إلى السيد « بشير الزيدى » رئيس الوزراء ، ألفينا منه استعدادا لإصلاح أحوالها وفق مايشار به ، ثم حدثنا على حاجة المدرسة إلى مدرس مصرى من خريجى الأزهر يقوم بالإشراف على شئونها ، فيساعد الرئيس الحالى ، على أن يحل محله حين ترى الحكومة إحالته إلى التقاعد نظراً لكبر سنه .

خامساً : فى الجامعة العباسية : سبق أن تحدثنا على الجامعة العباسية فى بهاولبور ، فذكرنا أنها

تريد أن تماشى الأزهر فى أحدث تطوراته ، غير أننا لم نتحدث إلى رجال الحكومة هناك عما يمكن الأزهر أن يساهم به فى هذه السبيل . وفى رأينا أنه إذا عرض على الحكومة أن تستعين بواحد أو بأكثر من خريجى الأزهر ـ فى تدريس العلوم العربية والدينية ، أو الإشراف على شئون الدراسة فى هذه الجامعة ، أو الالتحاق بوزارة المعارف للتفتيش على المدارس الدينية ومساعدة القائمين بالأمر فيها ـ فإن حكومة سمو النواب قد ترحب بهذا المقترح .

سادساً : فى امارة حيدر آباد : رأينا حركة شاملة فى صالح اللغة العربية والدين الإسلامى فى إمارة حيدر آباد ، وأحسسنا من جميع من حادثناهم شعوراً طيباً وميلا ظاهرا ، نحو تأسيس علاقات الود والصداقة بين مصر وبين تلك البلاد . وقوام اللغة العربية والدين الاسلامى فيها طائفة من الأساتذة تخرجوا جميعا — كما ذكرنا — في المدارس والمعاهد المصرية على اختلاف أنواعها ، ويعتبر هؤلاء تربة خصبة لإنماء علاقات الود بين حيدرآباد ومصر .

وقد تحدثنا إلى وزير المعارف هناك فى شئون شتى ، نقتصر منها هنا على ما اقترحناه ، وهو أن تساهم حكومة حيدر آباد فى نفقات إنشاء قسم لتدريس لغة الأردو بالأزهر الشريف ، فتدرس فيه هذه اللغة كما كانت تدرس اللغة اليابانية فى « تخصص الوعظ والإرشاد » بكلية أصول الدين ، أو على مقياس أكبر من ذلك .

وهنا أدلى لنا معالى الوزير برغبته فى أن يكون إنشاء هذا القسم وإدارته على نفقة صاحب السمو العالى النظام ، وأن يسمى « كرسى حيدر آباد لتعليم الأردو » ، وقال : إن الحكومة مستعدة للتحدث فى الموضوع على هذا الأساس .

وفى رأينا أن القسم إذا افتتح وعين له أستاذ من أساتذة الجامعة العثمانية ـ الذين يعرفون اللغة العربية ويقومون بتدريسها ، أو بتدريس بعض علوم الدين هناك ـ فإن الأزهر يستطيع عندئذ أن يرشح أحد خريجيه ليشغل الوظيفة التى تخلو فى الجامعة .

ولا نظن أن الاعتبارات المالية تحول دون تنفيذ هذا المقترح ، ولا سيما من ناحية حكومة حيدر آباد .

تقرير عن حال المنبوذين

مقدمة

يجدر بنا قبل أن نبدأ الكلام على المنبوذين ، أن نشير إلى أن استقصاء أحوالهم ، قد أحاطت به ظروف محلية وملابسات كان من شأنها أن تضطر البعثة إلى التأنى فى هذه الدراسة ، وأن تعمد — فى بعض الأمكنة — إلى الانكماش ، حيث لا تجد الجو صالحاً لهذه الباحثات ، كما تعمد — فى أمكنة أخر — إلى بحث الموضوع فى غير حذر ، عند ما تجد الجو صالحاً لذلك .

ولا نرى مندوحة من الإشارة إلى أن وصول البعثة إلى الهند ، قد أحاطت به ظروف شائكة ؛ فقد نشرت الجرائد الهندوسية — بل بعض الجرائد الإسلامية أيضاً ، أن البعثة قادمة للقيام بحركة بين المنبوذين ، بغية تحويلهم إلى الإسلام ، فقامت القائمة ، وتكهرب الجو ، مما دعا البعثة إلى إصدار بيان للصحافة ، قد أشرنا إليه فى صدر هذا التقرير .

وبهذه المناسبة تتقدم البعثة بجزيل الشكر إلى جميع من أمدها بالمعلومات ، وإلى من ساهموا فى البحوث ، وتخص بالشكر « السير محمد إقبال » الذى ضحى بالكثير من وقته وصحته فى هذه السبيل ، وكذلك تزجى الشكر إلى الأستاذ الكبير « غلام بهيج نيرانج » الذى كان له أكبر قسط من النشاط فى هذا العمل الجليل ، والذى عنى بأن يجيب البعثة على كل ما وجه إليه من الاستشارات ، وكذلك الأستاذ « فضل رحيم » والطبيب « أسرار أحمد » ، و « نواب محمد يارجنج » ، والأستاذ « محمود فاندرمان » ؛ وغير هؤلاء ممن لم تسع المذاكرة أسماءهم .

وتتقدم البعثة كذلك بجزيل الشكران إلى حضرات من ساهموا بقسط وافر من العمل ، لإنجاح البعثة فى مهمتها ، ثم شاءت ظروف خاصة ألا نذكر أسماؤهم فى هذا التقرير .

إحصاء عام عن المنبوذين

يبلغ عدد المنبوذين — وفق آخر إحصاء رسمى صدر منذ ست سنوات : ٧٧٠ر١٩٥ر٥٠ نسمة ، أى بنسبة ١٤ ٪ من مجموع سكان الهند ، وبنسبة ٢١ ٪ من تعداد الهندوس العام ، وتختلف نسبتهم إلى عامة السكان ، ثم إلى الهندوس ، بين إقليم وآخر ، وفيما يلى بيان ذلك :

أولا : فى الهند البريطانية :

الإقليم	عدد المنبوذين	نسبتهم للهندوس	نسبتهم العامة
الولايات المتحدة	٠٠٠ر٣٢٢ر١١	٪٢٨	٪٣٢
مدراس	٠٠٠ر٢٣٤ر٧	٪١٨	٪١٥
بنغال	٠٠٠ر٩٠٠ر٦	٪٣٢	٪١٤
بحار ، وأوريسا	٠٠٠ر٧٧٤ر٥	٪١٩	٪١٥
الولايات الوسطى ، وبرار	٠٠٠ر٨١٨ر٢	٪٢١	٪١٨
آسام	٠٠٠ر٨٢٩ر١	٪٣٧	٪٢١
بومباى	٠٠٠ر٧٥٠ر١	٪١١	٪ ٨
البنجاب	٠٠٠ر٢٨٠ر١	٪٢٠	٪ ٥
دلهى	٠٠٠ر٧٣	٪١٨	٪١١
أجمير ، ومروار	٠٠٠ر٦٧	٪١٨	٪١٤
كرج	٠٠٠ر٦٥	٪١٧	٪١٥
بلوخستان	٧٠٠ر٥	٪١٤	٪ ١
مقاطعة الحدود	٥٠٠ر٥	٪ ٤	٪ ٠
جزر أندمان ، ونيكوبار	٥١٠	٪ ٨	٪ ٢

ثانيا : في الإمارات

حيدر آباد	٠٠٠ر٤٧٣ر٢	٪٢٠	٪١٧
ترافانكور	٠٠٠ر٧٧٠ر١	٪٥٦	٪٣٥
راجبوتانا	٠٠٠ر٥٦٥ر١	٪١٦	٪١٤

الإقليـــــم	عدد المنبوذين	نسبتهم للهندوس	نسبتهم العامة
ميسور	١ر٠٠٠ر٠٠٠	١٧٪	١٥٪
إمارات الهند الوسطى	٧٨٠ر٠٠٠	١٤٪	١٢٪
جواليور	٦٧٨ر٠٠٠	٢١٪	١٩٪
إمارات بحار، وأوريسا	٦٣٢ر٠٠٠	١٥٪	١٤٪
إمارات البنجاب	٣٩٣ر٠٠٠	٢١٪	٩ ٪
إمارات بومباى	٣٤٩ر٠٠٠	٩ ٪	٣ ٪
إمارات الهند الغربية	٣١٨ر٠٠٠	١٠٪	٨ ٪
الولايات الوسطى	٢٥٣ر٠٠٠	١٤٪	١٠٪
الولايات المتحدة	٢٠٩ر٠٠٠	٢٢٪	١٧٪
بارودا	٢٠٣ر٠٠٠	٩ ٪	٨ ٪
كشمير	١٧٠ر٠٠٠	٢٣٪	٥ ٪
كوشين	١٢٥ر٠٠٠	١٦٪	١٠٪
إمارات مدراس	٦٥ر٠٠٠	١٦٪	١٤٪
إمارات بنغال	٣١ر٠٠٠	٥ ٪	٣ ٪
سخيم	٢ر٠٠٠	٤ ٪	٢ ٪
إمارات آسام	١ر٤٠٠	١ ٪	٠ ٪
إمارات الحدود	٥٤٠	٤ ٪	١ ٪
إمارات بلوخستان	٢٠	٠ ٪	٠ ٪

يستنتج من ذلك أن نسبة المنبوذين إلى عامة السكان ، بل أن نسبتهم إلى الهندوس ، تتفاوت تفاوتا كبيراً باختلاف الإقليم ؛ وقد حاولنا أن نصل إلى قاعدة لتوزيع المنبوذين بين الهندوس فلم نستطع ، مما يدل على أن عوامل كثرتهم أو قلتهم لا ترجع إلى طريق معيشتهم ؛ أو إلى مدى استعدادهم ، أو مدى اعتمادهم على بقية الهندوس أو غيرهم ، فى كسب قوتهم ؛ بل إن أكبر الظن أن توزيع المنبوذين على المقاطعات والولايات لا يخضع لقاعدة ما ، بل يستمد كيانه من الوراثة فحسب .

ولما كنا ندرس أحوال المنبوذين لغرض خاص ، هو الاطلاع على مدى استعدادهم لتغيير دينهم ، فى الآونة الحاضرة ، أو فى المستقبل القريب ؛ وكان التعليم من أهم العوامل التى تدعو القوم للتبصر فى أحوالهم العامة : وإدراك ماهم عليه من شقاء تحت نظامهم الحالى ، بحيث يصح القول إجمالا : إن استعدادهم لتغيير دينهم يتناسب تناسباً طردياً مع نسبة انتشار التعليم بينهم ؛ لذلك رأينا أن نقف القارىء على نسبة التعليم بينهم فى الولايات المختلفة :

١٤٩	فى الألف		فى ترافانكور
١٢٩	«	«	« إمارات آسام
١٠٣	«	«	« إمارة بارودا
٦٩	«	«	« بلوخستان
٥٠	«	«	« بنغال
٤٨	«	«	« إمارة كوشين
٣٦	«	«	« مقاطعة الحدود
٣٥	«	«	« إمارات مدراس
٣١	«	«	« آسام
٢٨	«	«	« بومباى
٢٨	«	«	« إمارات بومباى
٢٥	«	«	« إمارات بلوخستان
٢٢	«	«	« أجمير
١٩	«	«	« إمارات الهند الغربية

وتلى تلك مجموعة من الولايات والإمارات تتضاءل فيها نسبة التعليم بين المنبوذين ، حتى تصل فى بعض منها إلى ٢ فى الألف فقط .

وسنرى فيما يلى — من تاريخ ثورة المنبوذين على الديانة الهندوسية ، بأسبابها ، ونتائجها ، والحال الحاضرة فيها — مايبعث على الاعتقاد بصحة هذا القياس .

الأصل في الطبقات المنبوذة

يرجع أصل حركة « النبذ » إلى تقاليد الديانة الهندوسية منذ أقدم العصور، ويُرجعها عامة الكتاب إلى عاملين : أحدهما تاريخي ، وثانيهما ديني .

الأصل التاريخي

يروى لنا المؤرخون أن الجنس الآرى قد استوطن — منذ أقدم عصور التاريخ — الهضبة الآسيوية الوسطى،فقد هاجر منها — في حقب مختلفة من التاريخ — إلى أوروبا و إيران والهند . وقبل قدوم الآريين إلى الهند ، كانت البلاد آهلة بأجناس مختلفة ، ضرب بعضها بسهم وافر في المدنية ، مما يُستدل عليه بآثارهم العمرانية التي كشف عنها التنقيب في أنحاء مختلفة من الهند .

وقد ظل الآريون يتوغلون في الهند رويداً رويداً ، متغلبين على كل ماصادفهم من عقبات، حتى ليقال إنهم لم يكتفوا بالتغلب على سكان البلاد الأصليين و إخضاعهم لسلطانهم الزمني بحسب ، بل جردوهم من كل ممتلكاتهم ، ونزلوا بهم إلى مستوى أحط من مستوى الأرقاء . .وقد لجأ كثير من أفراد العنصر المغلوب إلى الغابات والجبال المنيعة ، حيث لايزال أحفادهم على قيد الحياة يعيشون عيشة المتوحشين الأقدمين ؛ في حين لجأ فريق آخر —ممن جُردوا من منازلهم وضياعهم — إلى معيشة التجوال ، ومنهم نشأت القبائل الرحل التي لاتزال تجوب أنحاء الهند لاتلوى على شيء . وقد اتخذ كثير من هؤلاء — على مر الأيام — السرقة والخطف مهنة يلتمسون الرزق من سبيلها . ولايزال ذكر هؤلاء يرد حتى اليوم في الاحصاءات الرسمية باسم «القبائل الإجرامية » ،ويرصد البوليس حركاتهم و يتتبع أحوالهم . وقد أنشأت الحكومة إدارة خاصة بقصد الحد من تصرفاتهم الإجرامية ، أما البقية الباقية — ممن ذكرنا — فقد ركنوا إلى الإقامة بالقرب من المدن الكبرى في حالة فقر مدقع ، يلتمسون الرزق من أحقر السبل : كالزبالة ، والشحاذة ، واقتناص القردة وتدريبها على الرقص واللعب أمام جمهور محدود من النظارة يتصدق عليهم ببعض الحبوب أو ببضعة قطع من العملة النحاسية. و إلى هذا الفريق ينتسب عامة الحواة الذين يلعبون بالثعابين ؛ والراقصون على الحبل و (البهلوان) ؛ وقد دفعتهم الفاقة إلى التهام كل مايقع تحت أيديهم ، فإذا أعوزهم الطعام فتكوا بالثعالب وأبناء آوى والفيران ، وقد يأكلون الثعابين ؛ ويعيش معظمهم على الجيف ؛

أما ملابسهم فبالية قذرة ، إلا من عاش منهم فى المدن ، فإن ملابسه قد تكون أحسن قليلا ؛ ويوجد ببلاد الهند من هذه الطبقات الوضيعة حوالى ثلاثمائة صنف .

الأصل الدينى

يوجد فى تقاليد الديانة الهندوسية قانون قديم جداً ، يعد مرجعاً من أهم مراجعهم ، ويعتقدون أن واضع ذلك القانون كان شخصاً عظيم الورع ، واسع العلم ، اسمه « مانو Manu » ، كما يعتقدون أنه وضع ذلك القانون شريعة لهم ، ولذلك لم ينكر سلطته ، بل لم يناقشها أحد من المتأخرين .

ولقد قسم « مانو » الهندوسيين ، بل عامة الجنس البشرى (إذ يظهر أنهم كانوا يعتقدون أن الهند هى كل المعمور ، وأن سكانها هم عامة الجنس البشرى) قسم هؤلاء إلى أربعة أقسام :

أولا : البراهمة

وهم من خلقوا من فم الإله ، وكانت وظيفتهم الوراثية ، هى العلم بكتابهم المقدس (الفيدا Vidas) . ولهم أن يمارسوا كل شؤون العبادة ، فهم بذلك قساوسة الهندوسية ، وكانوا يعتبرون من أرقى مراتب الجنس البشرى ، وواجب على كل من لم يكن برهمياً أن يخصهم بأعظم قسط من الاحترام والتقدير ، وأن يتقدم إليهم بكافة أنواع الهدايا ؛ ولا يصح القيام بأى واجب دينى إلا على أيديهم ، أو بعبارة أدق : تراهم قد احتكروا الوساطة بين الإنسان وربه .

ثانيا : الشاترى

وهم من خلقوا من أذرع الإله ، ولذلك كانوا هم رجال الحرب والقتال ، وبيدهم صولجان الحكم الزمنى ، يتوارثون الوظائف أباً عن جد .

ثالثا : الفايشا

وهم من خلقوا من فخذى الإله ، وينتمى إلى هذه الطبقة : التجار ، ورجال المال والزراعة .

رابعا : السودرا

وهم من خلقوا من أقدام الإله ، وتشمل هذه الطبقة الخدام الذين كتب عليهم — بالوراثة اللانهائية — أن يخدموا الطبقات الثلاث السالفة الذكر ، وأن يعيشوا معيشة كلها خضوع وعبودية يحيط بهم الفقر ، ويلازمهم الامتهان .

... ويستطيع المجتهد فى قانون مانو ، وغيره من كتب الهندوس ، كما يستطيع المتتبع للسوابق التاريخية فى هذه الديانة ، وكذا من يبحث أمور أصحاب هذا الدين فى حاله الحاضرة ، أن يستنتج

أن تقسيم النوع البشرى إلى أربع طبقات ، قُصد به أن يكون وراثياً ؛ فأبناء البرهمى وأحفاده ، لابد لهم من أن يكونوا براهمة كما كان آباؤهم وأجدادهم ، وكذلك الحال فى كل من الطبقات الأخر .

ولكن العصر الحديث قد انجلى عن حملات شعواء ، يشنها المسلمون والمسيحيون على نظام الطبقات ؛ ولذلك نشأ من بين الهندوس جماعة من المثقفين والمفكرين ، يقولون بأن هذا التقسيم لم يقصد به أن يكون وراثياً ، بل إنه تقسيم قد دعت إليه الكفايات ؛ فالرجل المثقف الورع قد يكون برهمياً ، كما أن الجندى المحنك قد يكون (شاتريا) ، أما من اتجهت به مواهبه إلى التجارة أو الزراعة فيكون (فايشا) ، ثم تتبقى بعد ذلك طبقة من الشعب ، تكاد تنعدم فيها المواهب السالفة الذكر ؛ وهؤلاء هم السودرا .

و بمقتضى هذا الرأى ؛ يجوز أن ينحدر ابن البرهمى إلى أحط دركات المجتمع ، إذا لم يكن له من المواهب ما يستطيع أن يؤهل به نفسه لإحدى الطبقات الأخر ، كما يحتمل أن ينشأ ابن السودرا ، وقد وهبته الطبيعة المقدرة على إحراز المعرفة والتمسك بأهداب الورع ، فيرتفع بذلك إلى درجة البراهمة ؛ وقياساً على ذلك يجوز لابن الشاترى أو الفايشا أن يرقى إلى درجة أعلى من درجته ، أو أن ينحط إلى طبقة أدنى من طبقته ، وفق مؤهلاته . على أن الرأى الذى نادت به هذه الطبقة من المفكرين لم يَعْدُ أن يكون رأياً نظريا ، لاتؤيده السوابق التاريخية ، ولا تصرفات الجيل المعاصر .

وتنقسم « السودرا » بعد ذلك إلى قسمين : قسم يجوز لمسه ، وقسم يحرم لمسه ؛ فمن الفريق الأول حمالو الماء ، والخدم المكلفون بتنظيف الأوانى ؛ و يجوز لهؤلاء أن يلمسوا أجسام الهندوس من الطبقات التى تعلوهم ، كما يجوز للهندوس لمس أجسامهم ، دون أن يسبب هذا التلامس نجاسة ؛ ولكن سواد السودرا يعدون أنجاساً ، لا يسمح لهم بلمس أجساد الهندوس من الطبقات العليا ، بل لا يجوز لهم أن يلمسوا « السودرا » من الطبقة الأولى ، كما لا يسمح لأولئك بلمسهم ، وهؤلاء هم المنبوذون .

المنبوذون

إذا لمس جسم رجل من هندوس الطبقات العليا ، أو لمست ملابسه ، جسم رجل من المنبوذين أو ملابسه ، أصبح جسم الهندوسي نجساً وكذلك ملابسه ، ووجب عليه أن يطهرها جميعا ، وأن يغتسل هو ، بل يجب عليه فى بعض الأحيان أن يذهب إلى حمام معترف به — على شاطىء الكنج المقدس — فيغتسل رسمياً وفقاً للتقاليد .

ومن المنبوذين طبقة لايجوز الاقتراب منها ، كما يجب عليهم أن يبتعدوا بأنفسهم عن هندوس الطبقات العليا مسافة محدودة (عشر ياردات أو أكثر) حتى لاتلوث أنفاسهم الهواء الذى تستنشقه الطبقات العليا ، وحتى لايلمس الهواء الملوث — بملابس المنبوذين — ملابس الطبقات العليا فيلوثها ، فإذا خرج منبوذ من هذه الطبقة عن هــذه العادة ، واقترب من هندوسى من الطبقات العليا ، فإنه يلوثه ، ويعاقب المنبوذ على مافعل عقاباً قد يكون صارماً . ويوجد هذا الصنف من المنبوذين فى جنوبى الهند غالباً . والواقع أن المنبوذين يكثرون فى الجنوب ، ويقلون نسبياً فى الشمال ، كما تختلف القسوة فى المعاملة ، فتزيد فى الجنوب ، وتتضاءل فى الشمال .

لماذا احتمل المنبوذون هذا العسف؟

ظل المنبوذون يعانون هذا النوع من المعاملة المجحفة عصوراً لاتحصى ؛ وقد كان من أثر مبادىء « مانو » أن سار هندوس الطبقات العليا وفق تعاليم دينهم ، فعاملوا المنبوذين باحتقار ، واعتبروهم أنجاساً ، وتحاشوا الاتصال بهم . وقد شاءت مبادىء مانو كذلك : ألا يتعلم المنبوذون ، وأن يظلوا على جهالتهم الأبدية ، حتى لاتتطرق إلى بيئتهم اليقظة التى تدعوهم إلى النزوع لتحسين حالهم ؛ كما فرض مانو مجموعة من العقوبات القاسية على كل منبوذ يحاول أن ينال قسطاً من التعليم ؛ وتقضى مبادؤه أيضاً بأن يصب الرصاص المصهور فى أذنى المنبوذ الذى يسمع — ولو عن غير قصد — نصوص « الفيدا » وهى تتلى .

يظهر من ذلك أن الفكرة كانت متجهة إلى اعتبار « الفيدا » كتاباً بلغ من قدسيته أن أصبح مجرد استماع المنبوذ لتلاوته إهانة للكتاب نفسه ، لايمحوها إلا صارم العقاب .

ولكن النية الحقيقية كانت تنطوى على أن يظل المنبوذون فى جهل مطبق وأمية لا مخرج منها . على أن الجاهل قد يستطيع — فى وقت من الأوقات — أن ينظم ثورة ، ولذلك كان من

الضرورى أن تبتكر أساليب أخر لإخضاع المنبوذين ؛ فابتكر البراهمة مبدأ تناسخ الأرواح ، فدفعوا الناس بذلك إلى الاعتقاد بأنهم ماولدوا أغنياء أو فقراء ينتمون إلى بيئات عليا أو دنيا ، إلا جزاء وفاقا لما كانوا عليه فى الحياة التناسخية السابقة ، من خير أو شر ؛ وخير للرجل الذى يعيش اليوم – بدلا من أن يحسد صاحب مال أو جاه ، أو أن يحقد عليه – أن يتحمل المصاعب والامتهان بصبر وجلد ، وأن يحاول أن يعيش عيشة راضية ، قوامها الاستقامة والاستسلام ، عسى أن يولد مرة جديدة فى مستوى أحسن من مستواه الحالى .

وخلاصة القول أن المنبوذين قد قنعوا بحظهم من الحياة للأسباب الآتية :

١ — حالة الفقر المدقع الذى يعانون و يلاته ؛ والفقر أكبر عامل على العجز .

٢ — الجهالة اللانهائية التى يعيشون فى كنفها .

٣ — اعتقادهم بتناسخ الأرواح .

٤ — شعورهم بالخنوع ، وجنوحهم إلى الاستسلام .

وقد ظل المنبوذون على هذه الحال ، إلى أن دخل المسلمون الهند فاتحين .

المنبوذون فى خلال الحكم الاسلامى

إن لاعتناق الدين الاسلامى ، وجهود المسلمين فى هذه السبيل بالتبليغ ، قصة قائمة بذاتها ؛ فمن المعتقد أن أول من أسلموا فى تلك البلاد ، كانوا معاصرين للنبى عليه الصلاة والسلام ؛ وتروى فى (مالابار) قصة قديمة جداً ، تذهب إلى أن أحد ملوك الهند (راجا مالابار) قد شاهد معجزة شق القمر ، وأنه بدأ يتساءل عن سر تلك الظاهرة ، فقال له الفلكيون فى بلاطه : « إن شخصية عظيمة قد ظهرت فى جزيرة العرب ، وإنها قد أتت بالمعجزات » ؛ وقد أيد أقوال هؤلاء الفلكيين تجار من العرب ، كانوا يترددون على الشواطىء الجنوبية من الهند للتجارة ؛ كما تذهب القصة إلى أن الراجا أرسل بعض من يثق بهم إلى بلاد العرب ليتحققوا صحة النبأ ، فذهب هؤلاء إلى الجزيرة ومثلوا بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم عادوا فقصوا على الراجا ماحدث ، فاعتنق دين الإسلام .

كما تذهب قصة أخرى إلى أن بعض التابعين — رضوان الله عليهم أجمعين — وفدوا على (مالابار) فأسلم على يديهم جم غفير ؛ ومن هؤلاء التابعين : مالك بن دينار ، وحبيب بن دينار .

وسواء أصحت قصة من هاتين القصتين ، أم لم تصح ؛ فمما لاشك فيه أن المبلغين من المسلمين قد ظهر نشاطهم الإسلامى فى بلاد الهند منذ أقدم العصور ، وقبل أن يقوم المسلمون بفتح البلاد بالسيف . وإن دخول الهنود فى دين الله أفواجا ، يعتبر من أقدم الأمور فى تلك البلاد . وكل ما يمكن أن يقال : إن سرعة دخول الناس فى ذلك الدين ، قد تفاوتت بين زمن وآخر ؛ ولكن مما لا شك فيه ، أنها لم تقف فى يوم من الأيام .

وقد قام بالدعاوة للإسلام — على مر الأزمنة — مشايخ الطرق ، والصوفيون ؛ وفى مئات من الأمكنة المختلفة فى الهند ، لا تزال مقابر هؤلاء قائمة ، تشهد بما أبلوا فى سبيل الإسلام ، ولا يزال الهندبون يحتفلون بموالدهم .

وقد كان دخول الناس فى دين الله فى بعض الأمكنة ، بحيث إن قبائل بأكملها كانت هندوسية فاعتنقت الإسلام ؛ ولا نكاد نجد اليوم واحداً من رجال هذه القبائل على ديانة أجداده الأول من الهندوس .

أما القبائل الهندوسية الأخر ، فقد أسلم منها البعض ، وبقى البعض الآخر على ديانته القديمة ؛ ولم تقتصر « عملية الإسلام » على طبقة من الهندوس دون طبقة أخرى ، بل عمت جميع الطبقات من البراهما إلى السودرا .

وبمجرد أن أسلم هؤلاء — وكانوا منبوذين فى الديانة الهندوسية — ارتقوا إلى مرتبة غيرهم من المسلمين على قدم المساواة ، بحيث لا يستطيع اليوم أحد أن يميز بينهم وبين غيرهم ، بل إن كثيراً منهم يدّعون اليوم أن أجدادهم جاءوا من بلاد العرب نازحين أو فاتحين ؛ ولا يتعرض مسلم — كائناً من كان — إلى نقض هذه الدعوى .

وثمت أمر واحد لا شك فيه ، هو أن المسلمين لم يحاولوا — قبل العصر الحديث — أن يدخلوا المنبوذين خصيصاً فى الإسلام ، ولو عنوا بذلك فى وقت من الأوقات ، لأسلم المنبوذون كافة منذ أجيال .

بعثات التبشير المسيحية

وفد المبشرون المسيحيون على الهند ، قبل أن تتخذ الدول الاستعمارية أية خطوة فى سبيل الحصول على نفوذ سياسى ؛ ففى عصر الإمبراطور المغولى « جلال الدين أكبر » ، (١٥٥٦ — ١٦٠٥) ، تشرفت بعثة تبشيرية مسيحية بحضور حفلة البلاط . وقد اهتم الملك أكبر خان بالإنجيل ، وأمر بترجمته إلى الفارسية ، وتزوج زوجاً مسيحية ، بنى لها كنيسة بالقرب من عاصمة ملكه فى أجرا ، ولا تزال الكنيسة قائمة إلى الآن بالقرب من مقبرة الإمبراطور فى سكندرا .

حدث بعد ذلك أن وفد على الهند كثير من الأوربيين للتجارة ، واستوطنوا كثيراً من الأمكنة فيها ، فوجد المبشرون الفرصة سانحة ، وبدءوا يوطنون أنفسهم على الإقامة ، ثم مالبثت صوالح الأوربيين الاقتصادية أن تلاطمت ، فتحولت إلى معارك سياسية ، فانهدمت سياسة الهولنديين رأساً على عقب ، وانسحب البرتغاليون من الميدان ، ولم يفوزوا إلا بمستعمرة صغيرة على الساحل بالقرب من (جُوا) ؛ أما المعركة السياسية بين الانجليز والفرنسيين فقد ظلت قائمة زمناً طويلاً ، استطاع البريطانيون فى نهايته إجلاء الفرنسيين بعد نزاع دموى طويل ، فقنعوا بعده مضطرين برقعة من الأرض على ساحل خليج بنغاله (بندشيرى) ، وبثغر صغير اسمه (ماهو) على ساحل (مالابار) فى الجنوب الغربى ؛ وبذلك آلت هذه البلاد الشاسعة الأطراف إلى البريطانيين .

و بينما كانت الدول جادة فى إحراز النفوذ السياسى ، كان المبشرون يمكنون لأنفسهم فى مختلف بلاد الهند ، فأنشأوا المدارس والكليات والمستشفيات ، وبنوا الكنائس ، وأسسوا مراكز للتبشير ، وترجموا الإنجيل إلى معظم لغات الهند ، ووزعوا الملايين من نسخه ، فكانوا واسطة الثقافة لمئات الألوف من الوطنيين ، رجاء أن يحولوهم إلى المسيحية ؛ وقد نجحوا فى اجتذاب قليل من الناس إلى حظيرتهم ، وعلى الأخص من هندوس الطبقات العليا ؛ ولكن المنبوذين كانوا هم الهدف المقصود ، ولذلك ركز المبشرون جهودهم فى هذه الناحية . ويصح أن يقال : إن بعثات التبشير المسيحية قد جنت ثمرة طيبة فى كفاحها الطويل بين المنبوذين .

على أن كل مايعنينا من ذلك : هو أن إدخال أساليب المدنية الغربية على يد المبشرين ، قد أحدث يقظة عامة بين طبقات المنبوذين ، إذ أتيحت لهم الفرصة — لأول مرة فى التاريخ — أن يتلقوا تعليما وتثقيفاً ، فوضع المبشرون — بذلك — الأساس الذى يستطيع المبلِّغ الإسلامى أن يشيد عليه مايريد .

حكومة الهند وتعليم المنبوذين

و بتأسيس الإمبراطورية البريطانية فى الهند ، انتشر التعليم الغربى ، إذ قامت الحكومة بإنشاء المؤسسات العلمية فى شتى الأمكنة ، فكان نفعها أعم من نفع مدارس المبشرين ؛ ولما أتيحت الفرصة للمنبوذين ، لدخول هذه المدارس والكليات ، ازداد تفتح أعينهم، وبدءوا يشعرون بسوء حالهم فى الماضى ، وأنهم قد سُلبوا حقوقهم الانسانية قهراً ؛ وقد اقتنعوا بأن ما أصابهم على مر العصور والأجيال ، من المحن ، كان السبب فيه هندوس الطبقة العليا ، وأنهم لايزالون يرزحون تحت هذا العبء الثقيل ، ولذلك لم يقنعوا بحظهم من الحياة ؛ وقد هدد كثير منهم — فى مناسبات شتى — بأن يهجروا الديانة الهندوسية ، ولكنهم كانوا يقنعون كلما استرضاهم الهندوس بأقل منحة .

دعاة إصلاح الحال بين الهندوس

إزاء هذه الحال ، بدأ بعض الهندوس من رجال الطبقات العليا — ممن تثقفت عقولهم تثقيفاً سياسياً — يدركون الخطر الجاثم ؛ وهو أن المنبوذين قد يتركون حظيرتهم للارتماء فى أحضان المسيحية أو الإسلام ؛ وبذلك يضعف مركز البيئة الهندوسية من الناحية السياسية ، اذ ينقص عددهم بخروج المنبوذين من حظيرتهم .

لذلك قام هؤلاء بتمثيل « دور » المصلحين ، و بدءوا يعملون على رفع مستوى المنبوذين ، وقد بذل المستر « غاندى » جهوداً عظيمة فى هذه السبيل ، لحمل المؤتمر الوطنى (كونجرس) على أن يجعل من بين مبادئه : إلغاء النبذ ، وجرّد حملة كبيرة لهذه الدعاوة .

وكان من بين مايعمل له هؤلاء المصلحون ، أن يحصلوا للمنبوذين على حق دخول المعابد ، وقد اتخذت فى هذه السبيل الخطوات الآتية :

١ — قدم للمجلس التشريعى فى دلهى مشرع قانون ، لو وافق عليه المجلس لأصبح منع المنبوذين من دخول المعابد جريمة يعاقب عليها القانون ؛ وقد قام الهندوس من الطبقات العليا ، فأحدثوا ضجة كبيرة ضد هذا المشروع ، اضطر معها مقدمه إلى سحبه من المجلس ، و بهذا فشل المشروع .

٢ — جرد المنبوذون حملة تلو أخرى لاقتحام معبد « راما » فى بلدة « نازك » بإقليم «بومباى» ، ولكن أقفلت أبواب المعبد فى وجوههم ، وكان البوليس يحمل على المنبوذين و يقصيهم عن أبواب المعبد ، ولما استمرت حملات المنبوذين أشهراً دون جدوى ، عدل عنها ، ثم قامت حملة أخرى من نوعها لاقتحام معبد « فاى كام » بإقليم « ترافنكور » ، وكانت النتيجة أن ضرب المنبوذون وطردوا بعيداً عن أبواب المعبد .

٣ — قام المؤتمر الوطنى بدعاوة واسعة النطاق ، لحل مشكلة المنبوذين والمعابد ، ولكن بغير جدوى أيضاً .

مؤتمر المائدة المستديرة

حدث فى خلال الحرب الكبرى ، أن أدركت الحكومة البريطانية احتمال قيام صعوبات فى الهند بشأن التجنيد وجمع المال، إذ أن بعض زعماء المؤتمر الوطنى هددوا برفض مساعدة انجلترا جزاء عدم اهتمامها بمطالبهم الخاصة بالحكم الذاتى ؛ فنى سنة ١٩١٧ أعلن المستر مونتاجيو — وكان وزير الهند فى الحكومة البريطانية إذ ذاك — أن الهند ستمنح نظام حكومة ذاتية مسئولة ؛ ووفاء بذلك العهد ، منحت الهند فى سنة ١٩١٩ بعض امتيازات دستورية ، كما وعدت بأن تمنح امتيازات أخر بعد عشر سنوات ؛ وطلب إلى الهند أن ترسل إلى لندن مندوبين يمثلون كافة الطبقات والبيئات ، لعقد مؤتمر المائدة المستديرة ، لبحث ما يمكن أن يمنح لبلادهم من الحقوق السياسية بعد ذلك ؛ وقد وقع اختيار حكومة الهند على نائبين من طبقات المنبوذين ، كان أحدهما

« الدكتور أمبدكار » المحامى في بومباى ، وحضر « المستر غاندى » المؤتمر نائباً وحيداً ومفوضاً عن المؤتمر الوطنى ؛ وقد طلب ممثلو الأقليات أن يحتفظ لكل من البيئات بعدد خاص من المقاعد فى المجالس النيابية ، وأن تجرى الانتخابات على أساس طائفى .

وقد عارض « المستر غاندى » فى كل من الفكرتين ، وكانت كل آماله ألا ينفصل المنبوذون عن بقية الهندوس ، وأن تبقى حقوق الجميع مشتركة ؛ وقد طال الجدل والنقاش لحل هذه المعضلة ، وأخيراً اتفق الزعماء على تحكيم « المستر رمزى مكدونالد » رئيس الوزارة البريطانية إذ ذاك ، فكانت نتيجة هذا التحكيم : أن قرر المستر مكدونالد نظام التمثيل الطائفى ، وحدد عدد المقاعد التى تعطى لكل طائفة ، كما قرر مبدأ الانتخاب الطائفى ؛ فغضب جمهور الهندوس لهذا القرار ، واعتزم « المستر غاندى » أن يصوم حتى الموت ، إذا لم يلغ قرار التفرقة بين المنبوذين و بقية الهندوس ، لأنه اعتبر قرار المستر مكدونالد منطويا على شطر الطائفة الهندوسية شطرين .

ولما بدأ غاندى فى تنفيذ قراره بالصيام فى (بونا) ، هُرِع زعماء الهندوس من كافة أنحاء الهند إليها ، وجمعوا زعماء المنبوذين — ومنهم الدكتور أمبدكار — وتوسلوا إليه بكافة الوسائل أن يوافقوا على إدخال تعديل على قرار مستر مكدونالد ، الذى عرف باسم « المنحة الطائفية » ؛ وأخيراً وصل الجميع إلى ما يسمى « عهد بونا » ؛ وهو القائل بأن يزاد عدد مقاعد المنبوذين فى المجلس زيادة طفيفة ، فى مقابل أن تكون انتخاباتهم فى بعض الأمكنة مستقلة بهم ، وفى البعض الآخر مشتركة بينهم و بين الهندوس ؛ وعندئذ أقلع غاندى عن صيامه ، ونجا من الموت ؛ على أن الهندوس ما يزالون غير قانعين ، وهم إلى اليوم حاقدون على المنحة الطائفية .

جمعية خدام المنبوذين العامة

سبق القول بأن مستر غاندى بذل جهداً عظيماً للقضاء على النبذ فى الهند ، محاولا تحسين حال المنبوذين . ويجدر بنا أن نذكر : أنه قام بسياحة جمع فى خلالها نحواً من ٢٥ لاك روبية (١٩٠ ألف جنيه تقريباً) لتحسين حال المنبوذين ، وقد أنشأ إذ ذاك « جمعية خدام المنبوذين العامة» ، كما أنشأ لها فروعاً فى معظم مدن الهند الهامة . ومن برنامج هذه الجمعية : إنشاء مدارس مجانية لتعليم أبناء المنبوذين القراءة والكتابة ، ومبادىء الحساب ، و بعض الصناعات ، وكذلك إنشاء مستعمرات « محلات » يتعودون فيها المعيشة النظيفة .

ومن مبادىء هذه الجمعية أيضاً : مساعدة الكبار من المنبوذين على كسب قوتهم ، ومساعدة شبابهم الذين يتلقون العلم فى المدارس والكليات .

وقد شجع مستر غاندى بعض أصدقائه الأغنياء على إنشاء المصانع بإرشاده ، لتشغيل المنبوذين العاطلين ؛ ومعظم هذه المصانع من النوع الذى لايحتاج إلى رأس مال كبير ، عند ما يفكر الصانع فى الاستقلال بالعمل ؛ وقد زرنا بعضاً منها فى (واردا) ، فشاهدنا صناعة الورق والغزل والنسيج .

مؤتمر يولا

وإذا كان المنبوذون قد نالوا حقوقاً تشريعية — أشرنا إليها سابقاً — فإن حالهم الاجتماعية والاقتصادية ظلت على ما كانت عليه من سوء ؛ ولا يكاد يمضى يوم حتى يحدث مايذكرهم بشديد الاحتقار الذى يكنه لهم الهندوس .

فمن أمثال ذلك ماحدث فى سنة ١٩٣٥ ، إذ انتخب الدكتور أمبدكار — وهو من كبار المحامين ، ومن خيرة المثقفين — عميداً لكلية الحقوق فى بومباى ، فثارت ثائرة الهندوس ، لا لشىء إلا لأنه منبوذ ؛ وليس هذا إلا مثلا واحداً من آلاف مما يحدث فى كل يوم ، وفى كل مكان ، مما يطول بنا ذكره .

عندئذ أدرك المنبوذون أن موقفهم يتلخص فيما يلى :

١ — حاولوا لدى الهندوس ، أن يعاملوهم كآدميين ، ولكن بغير طائل .

٢ — طالبوا الحكومة مرة تلو مرة بتحسين حالهم ، ولكنها لم تكن لتتدخل فى مسألتهم ، إذ اعتبرتها مسألة دينية .

٣ — حاول المؤتمر الوطنى الهندى — بكل الوسائل الممكنة — أن يقضى على النبذ فلم يستطع .

٤ — أخفق الزعماء المصلحون من الهندوس ، فيما أخفق فيه المؤتمر .

٥ — حاول المنبوذون أن يصلوا بالطريق الإيجابية إلى دخول المعابد ، فاستهدفوا لأفظع أنواع الإهانات ، ومع ذلك لم ينجحوا .

عندئذ دفعهم الفشل ، فى كل هذه الوسائل ، إلى الجزم بأنه لابد من عمل يقوم به المنبوذون ، لإنقاذ أنفسهم من هذه الحال المعيبة ؛ ففكروا فى تغيير ديانتهم .

ففى أكتوبر سنة ١٩٣٥ عقد مؤتمر المنبوذين فى مكان يسمى « يولا » بالقرب من « نازك »

في إقليم « بومباى » حضره عشرة آلاف منهم ، وتولى رياسته الدكتور أمبيدكار ، وألقى خطابا شاملا ، طلب فيه إلى الحاضرين أن يتبعوا الطريق الوحدَ لعلاج مرض « النبذ » المزمن ، ألا وهى ترك الديانة الهندوسية بتاتاً ؛ وقد وافقه على ذلك الحاضرون بالإجماع .

فلما أن نشرت الجرائد السيارة هذا القرار ، اضطرب له الهندوس أيما اضطراب ، وانهالت الرسائل من كافة الزعماء ، يطلبون إلى الدكتور أمبيدكار التأنى فى غير غضب ولا عجلة ، إذ أن حال المنبوذين ستتحسن قريباً جداً . أما بقية طبقاتهم ، فقد توالت الاجتماعات بينهم — فى كافة أنحاء الهند — وأخذ من الحاضرين تأييد إجماعى لرأى الدكتور أمبيدكار .

وقد كان من شأن هذا القرار ، أن بعث النشاط فى نفوس زعماء الديانات الأخر ، فأرسل بعض الزعماء المسلمين إلى الدكتور أمبيدكار ، يدعونه إلى اعتناق الإسلام ، ويطلبون إليه أن ينصح لكافة المنبوذين بأن يحذوا حذوه ، وقد اجتمع بعض زعماء المسلمين به شخصياً لهذا الغرض ، كما حاول المسيحيون أن يؤثروا فيه لصالح ديانتهم ، فى حين حاول جماعة « السيخ » أن يضموه إلى حظيرتهم .

وفى ديسمبر سنة ١٩٣٥ دعا مهراجا باتيالا (وهو من أتباع ديانة السيخ) الدكتور أمبيدكار للقدوم عليه ، والنزول فى ضيافته ؛ وهناك اتصل به زعماء السيخ ، ودخلوا معه فى مفاوضات ؛ فاتفق على أن ترسل بعثة من مبشرى السيخ إلى أقاليم المنبوذين للعمل بينهم ، واكتتب السيخ بملغ ٣ لاك روبية (٥٠٠ ر٢٢ جنيه تقريباً) ، وأرسلت بعثاتهم التبشيرية إلى الولايات الوسطى والهند الجنوبية ؛ وفى ابريل سنة ١٩٣٦ تضخم رصيد السيخ لتحويل المنبوذين إلى دينهم ، حتى صار ٧ لاك روبية (أى ٥٠٠ ر٥٢ جنيه تقريباً) . وقد اتصل بنا — بعد عودتنا إلى مصر — أن نشاطهم بدا واضحاً فى إقليم ناجبور ، فى شهر ابريل الماضى .

الحركة فى جنوبى الهند

يطلق اسم « كيرالا » على رقعة من الأرض فى جنوبى الهند ، تشمل « مالابار » و « كوشين » و » ترافنكور » ؛ ومعنى « كيرالا » : أرض جوز الهند . وفى هذه البلاد جالية من المنبوذين تسمى (إزهافا Ezhavas) يقال إنهم يبلغون ٠٠٠ ر٥٠٠ ر ٢ نسمة ، ومنذ اثنتى عشرة سنة أعلن زعيم هذه الطائفة : أن طائفته اعتزمت تغيير دينها لتنجو من النبذ ، فعقدت لهم مؤتمرات ، ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة ؛ ومنذ خمس سنوات قام فيهم زعيم جديد ينادى بتغيير دينهم للدخول فى دين الإسلام ، ولكن سرعان ما أُخفِتَ صوته .

فلما ارتفع صوت الدكتور أمبيدكار ينادى بتغيير الدين ، وأصبحت الحركة عامة فى بيئات المتعلمين من المنبوذين — فى كثير من أنحاء الهند — نشطت قبائل الجنوب التى ذكرناها ، فعقدت فى فبراير سنة ١٩٣٦ مؤتمراً من منبوذى « ترافنكور » ، قرر ترك الديانة الهندوسية ؛ وقد أيد هذا القرار بآخر أصدره مؤتمر جديد فى مايو سنة ١٩٣٦ . وفى هذا المؤتمر الأخير خطب عظيمان من مسلمى البنجاب : أحدهما الأستاذ « خالد لطيف جابا » — وقد كان لخطابه أثر عظيم .

وقد طاف بأنحاء ترافنكور ، يصحبه الدكتور طايل Dr Thail زعيم المنبوذين هناك ، فخطب فى كثير من الأمكنة ، وهيأ جواً مناسباً للإسلام . وكان الدكتور طايل نفسه مبشراً بالإسلام ، فأعطى الأستاذ جابا بياناً لينشره فى صحف الأقاليم الشمالية ، فلما أن نشرت الصحف هذا البيان ، وقرأه المهتمون بشئون الإسلام فى الهند ، تقدم الأستاذ غلام بهيج نيرانج ، فكتب إلى الدكتور طايل ، ثم ذهب إلى الجنوب برفقة بعض ذوى المكانة من المسلمين (وكان ذلك فى أواخر يولية سنة ١٩٣٦) وهناك قابل الدكتور طايل وقضى معه أياما عدة ، كان لها من الأثر أن صمم على إعلان إسلامه ، وتم ذلك فعلا فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٣٦ . وقد أسلم اثنان وثلاثون من منبوذى الجنوب ، بعد إسلام الدكتور طايل الذى سمى نفسه « كمال باشا طايل »؛ وبعد إسلامه طاف مع الأستاذ « نيرانج » بكوشين ومالابار ، طوافاً خلق جواً مناسبًا للإسلام . ومنذ ذلك الحين أخذ الناس يدخلون فى دين الله بين آن وآخر ، ولاتزال جمعية « أنجومان تبليغ الإسلام » بأمبالا ، جادة فى تنظيم أعمال التبليغ فى الجنوب .

راجا ترافنكور

يأمر بدخول المنبوذين فى المعابد

راع الهندوس فى هذه الإمارة انتشار الإسلام بها حديثاً ، فحدث فى ديسمبر الماضى — بينما كانت البعثة فى طريقها إلى الهند — أن أعلن الرجا ، وهو هندوسى ، جواز دخول المنبوذين فى المعابد التى تديرها الحكومة (تاركا المعابد التى يديرها أشخاص أو هيئات) .

وقد امتدح زعماء الهندوس — ذوو الخبرة السياسية فى كافة أنحاء الهند — ذلك التصرف ، وطلبوا إلى الحكام الهندوس — فى غير هذه الإمارة — أن يقتدوا براجا ترافنكور . ولكن الهندوس المتعصبين رفعوا الصوت عالياً بالاحتجاج على ماجرى ، ولاتزال المشكلة متفاقمة ، ولكن يبدو لنا أن هذه الحركة التى قصد بها إلى مصالحة المنبوذين والهندوس قد كتب لها الفشل ، وسيحكم

الزمن وحـده فيما إذا كانت أبواب المعابد ستفتح على مصراعيها أم لا ، وفيما إذا كان مجرد حق دخول المعابد سيقنع المنبوذين ويثنيهم عن ترك الديانة الهندوسية أم لا .

الدكتور أمبدكار

لقد اشتهر الدكتور أمبدكار بأنه أول زعيم ذى مكانة بين المنبوذين ، استطاع أن يعلن أن لا مندوحة لهم من ترك الديانة الهندوسية واختيار دين آخر ، يكفل لهم الحرية والإخاء والمساواة ؛ وقد ذاع صيته — بهذه المناسبة — حتى تجاوز حدود الهند إلى مصر وأوربا وأمريكا ، وحتى لقد أصدرت مجلة تبشيرية شهرية عدداً خاصاً ، على غلافه صورة للدكتور أمبدكار ، ولقبته « لنكولن الهند » أى محرر الهند ؛ واشتمل هذا العدد على ترجمة لحياته وَتَغَنَّ بمدحه بأسلوب بارع .

على أننا قد سمعنا الكثير على الدكتور أمبدكار ؛ فقال قائلون : إنه يتلاعب بصوالح المنبوذين فيساوم عليها بين أصحاب الديانات المختلفة ، ولا يصرح تصريحاً حاسماً بالدين الذى اختاره لهم ، بل يسلك فى ذلك سلوك الوسطاء المحترفين .

ومن الشواهد التى رويت لنا على ذلك : أنه عند ما ذهب فى سياحته إلى الجنوب لعقد مؤتمر للمنبوذين ، أضافه وجماعته موظف مسلم كبير ، ثم ذهب به فى سيارته إلى مقر المؤتمر ، وهو يعلم أنه سيعلن إسلامه فيه ، فإذا بأمبدكار يفاجئه بالاعتذار من إعلان اختياره دين الإسلام ، ويعلل ذلك بأنه يخشى إفلات المنبوذين من يده ، إذا بادرهم بهذا الإعلان قبل أن تنضج الفكرة عندهم .

وحدث أن ذهب الدكتور أمبدكار إلى المؤتمر العام لمبشرى السيخ ، حيث رفعوا من شأنه ، وتوطدت علاقته بهم ، وخطب فى مؤتمرهم ، فقال عن ديانتهم : إنها ديانة لا طبقات فيها ؛ عندئذ كتب إليه نيرانج خطاباً ألحق به بعض مقطوعات من الجرائد مما كتبه السيخ ، مثبتاً أن ديانتهم لم تنج من نظام الطبقات ، شأنها فى ذلك شأن الديانة الهندوسية سواء بسواء .

وزاد الأستاذ نيرانج على ذلك ، فدلل للدكتور أمبدكار على أن السيخ أنفسهم ليسوا إلا هندوساً ، وأن نظام النبذ منتشر بينهم ؛ ولكنه لم يحظ برد على خطابه .

وقد قرر لنا الأستاذ نيرانج أن الدكتور أمبدكار عقد عهداً سرياً مع زعيم هندوسى ، هو الدكتور منجى ، على ألا يتحول المنبوذون إلا إلى ديانة السيخ ، إذا أصر الهندوس على حرمانهم من الحقوق السياسية التى نالوها بالمنحة الطائفية .

وقد اعترض المستر غاندى وغيره من زعماء الهندوس على هذه الاتفاقية ، فى حين قام زعيم

من المنبوذين هو « م . ك . راجا » فنشر على الملأ المكاتبات السرية الخاصة بهذا الموضوع ، وهنا انكشفت سياسة الدكتور أمبدكار ؛ ويقال إن شأنه قد قل فى نظر الجمهور وخاصة المنبوذين . هذا وإن نشاطه قد تضاءل فى الأيام الأخيرة ، ويعلل بعضهم ذلك بالحرب الانتخابية التى أخذت على الجميع نشاطهم فى إبانها .

الحركة الانتخابية وأثرها

لقد أثرت المعركة الانتخابية فى الحركة أيما تأثير ؛ ونلخص ذلك فيما يلى :

١ — رشح كثير من زعماء المنبوذين أنفسهم للانتخابات الإقليمية ، ولذلك وجب عليهم أن يقفوا أوقاتهم ، وجهودهم ، ونشاطهم لها .

٢ — صعوبة قانون الانتخاب الخاص بممثلى الطبقات المنبوذة ؛ ذلك بأن المنبوذين وحدهم يرشحون عدداً منهم عن الدائرة الواحدة (٤ أو ٥) ، وبعد ذلك تدور الانتخابات العامة لانتخاب واحد فقط من هؤلاء ؛ وفى هذه الانتخابات يحق للهندوس ، بمقدار ما يحق للمنبوذين ، أن يعطوا أصواتهم . ونتيجة ذلك أن المرشح المنبوذ — إذا لم يفز بالتزكية — يظل محتاجاً إلى تأييد الهندوس ، وهم لن ينتخبوا مرشحاً يعلمون عنه أنه من أنصار الخروج على الديانة الهندوسية ؛ لهذه الأسباب تقاعس كثير من زعماء المنبوذين عن حركة تغيير الدين ، ولا يساهم فيها الآن إلا من لاتهمهم عضوية البرلمان ؛ وعلى ذلك يمكن أن يقال إن المعركة الانتخابية قد أضرت — ولو إلى حين — بالحركة التى يرمى بها المنبوذون إلى تغيير دينهم .

على أن معركة الانتخابات قد أسفرت عن نجاح كثير من زعماء المنبوذين الذين كانوا فى نشاط جم فى حركة تغيير الدين ، كما أسفرت عن فشل البعض الآخر .

ولما كانت مدة النيابة خمس سنوات ، وكانت الكراسى البرلمانية موزعة توزيعاً طائفياً ؛ فإن أولئك الذين نجحوا ، يحتمل كثيراً أن ينصرفوا عن حركة تغيير الدين ، لئلا تسقط عنهم عضوية البرلمان التى يعلقون عليها أهمية كبرى .

أما أولئك الذين لم ينجحوا فى الانتخابات ، فقد كتب عليهم — وفقا لتقاليد بلادهم — أن يندفعوا فى حركة تغيير الدين ، إذ خلا لهم الميدان بخروج منافسين لهم إلى دوائر البرلمان ، وبذلك كسبت الحركة وخسرت فى وقت واحد ...

رأى « أنجمان إسلام » بأمبالا

تقدم إلينا الأستاذ نيرانج بتقرير واف على أحوال المنبوذين ، اقتبسنا منه كثيراً من المعلومات التى أوردناها ، ثم ختم تقريره بالرأى الآتى :

« لقد قابلت الدكتور أمبدكار فى يناير الماضى ، وتحدثت إليه ، كما تحدثت إلى غيره من متزعمى المنبوذين . وقد ظن بعض أصدقائى أن الدكتور أمبدكار ومن معه : لا يمكن الاعتماد عليهم ، وأن أعمالهم تدعو إلى الشك ، وأنهم قد يطرحون نشاطهم جانباً بمجرد الحصول على بعض الامتيازات من الهندوس . وقال آخرون : إنه رجل جاد يصح الاعتماد عليه ، ولا يمكن أن يتحول عن نيته ، ثم ظنوا أنه قد يعتنق الإسلام فيكون قدوة لغيره .

أما أنا فقد وصلت إلى نتيجة : هى أنه سواء أ كان أمبدكار وغيره من الزعماء مخلصين للحركة أم غير مخلصين ، فإن تصريحاتهم وتصرفاتهم قد خلقت بين المنبوذين حالا نفسية جديدة ، وأنه يجب علينا أن ننتفع بهذا الجو الجديد ، على نحو ما يفعل السيخ والمسيحيون ؛ لذلك عرضت الأمر على اللجنة التنفيذية لجمعيتنا ، فأصدرت قراراً ببدء العمل بين المنبوذين . ونحن جادون — منذ أن صدر هذا القرار — فى تنفيذه .

أنشأنا مركزاً فى ناجبور عاصمة الولايات الوسطى ، وهيأنا له مطبعة ، وأصدرنا جريدة أسبوعية ، ووزعنا كثيراً من المذكرات والرسائل ، واستخدمنا عدداً من المنبوذين لنشر الدعاوة للإسلام ، وافتتحنا مدارس لأبناء المنبوذين ، يتعلمون فيها لغة الأردو ، ويدرسون مبادىء الإسلام وحياة الرسول عليه السلام ، كما أننا نعين ناديا لشباب المنبوذين على تمثيل رواية يقصد بها إلى بيان عظمة الإسلام » .

وقد وردت فى تقرير الأستاذ نيرانج النبذة الآتية :

سلوك المسلمين فى الهند

« مما يجب الاعتراف به : أن جمهور المسلمين فى الهند لم يقدر مسئوليته إزاء المنبوذين حق قدرها ، فإن الزعماء المسلمين لم يعيروا الأمر عناية تذكر ، فى حين أن الأمراء المسلمين يرون الأمر خطراً على مكانتهم ، ويخشون الدعاوة الهندوسية ضدهم خشية كبيرة ؛ أما العلماء الذين يرون رأى

المؤتمر الوطنى ، فقد انغمسوا فى السياسة انغماساً ألهاهم عن واجباتهم الدينية ، فكان من نتائج ذلك أن جمعيتنا — على الرغم مما بذلت من جهود — لم تستطع أن تجمع المال الكافى لهذا العمل العظيم الذى ينتظر الإنجاز ؛ ولكننا دائبون على بذل الجهد عسى أن يدركنا الله بمعونته » .

وتعليقاً على سلوك الهندوس نحو المنبوذين ذكر الأستاذ نيرانج ما يأتى :

قوى المقاومة

« غير خاف أن الدكتور أمبدكار — وهو الذى حمل علم الجهاد فى حركة تغيير الدين — قد فقد مكانته فى أعين قومه ، وبذا تحولت حركته إلى سكون ؛ ويجدر بنا الآن أن نلقى نظرة شاملة على تلك القوى التى كانت ولاتزال تعمل لمقاومة حركة تغيير الدين ؛ وذلك أن الهندوس قد اتخذوا الخطوات الآتية :

١ — قد استطاعوا اجتذاب بعض الزعماء من المنبوذين لمقاومة الدكتور أمبدكار ، وبذلك خلقوا حزباً قوياً ، من مبادئه عدم تغيير الدين ؛ وأصبحنا بذلك نرى — حتى بين منبوذى المهار ، وهم البيئة التى ينتمى إليها أمبدكار — حزبين : أحدهما يقول بالخروج من الديانة الهندوسية ، وثانيهما ينادى بضرورة البقاء فيها .

٢ — قد دفعهم السيخ إلى الاتصال بأولئك الذين يفكرون فى تغيير دينهم ، إذ أن السيخ ماهم إلا هندوس ، ولكنهم موحدون ، حتى إذا ماصمم المنبوذون على ترك دينهم فربما اختاروا السيخ ، وبذلك يكون التغيير اسمياً فقط ، أما بالفعل فإنهم لايزالون هندوساً .

٣ — ينفق الهندوس المال بسخاء فى كل مكان ، للمحافظة على المنبوذين والحيلولة بينهم وبين اعتناق دين جديد .

٤ — يعتبر قرار حكومة ترافنكور بإباحة دخول المعابد للمنبوذين خطوة أخرى .

٥ — تعتبر « جمعية خدام المنبوذين » التى أنشأها المستر غاندى وحدة من الوحدات الهامة فى هذه المقاومة » .

واستطرد الأستاذ نيرانج بعد ذلك إلى ذكر الأزهر فقال :

ما يجب على الأزهر أن يقوم به

« عندما علمت باعتزام الأزهر أن يقوم بالتبليغ بين المنبوذين فى الهند ، كنت أشك فى إمكان تحقيق الفكرة عملياً ، متأثراً فى ذلك بالصعوبة الناشئة من اختلاف اللغة ؛ فإن الهند بلاد شاسعة الأطراف ، متعددة اللغات ؛ وإن المنبوذين أنفسهم يختلفون فى لغاتهم اختلافاً جوهرياً تبعاً لاختلاف أمكنة إقامتهم ؛ وفضلا عن ذلك فإن معظم لغاتهم لا يعرفها المسلمون ، حتى إننا — ونحن فى الهند — نعانى الصعوبات فى عملنا لمجرد جهلنا بلغات المنبوذين ، وكان يخيل إلينا أن إخواننا الأزهريين سيعانون فى ذلك صعوبات شتى .

أما الآن ، فبعد البحث المستفيض ، أدركت أن صعوبة اللغة لن تكون عائقاً للأزهر أكثر مما توقعنا فعلا ؛ والفارق الوحيد بيننا : هو أنهم سيكونون طارئين على هذه البلاد ، ولن تكون لهم بذلك خبرة بالبلاد وأهلها ؛ ومع ذلك فمن السهل التغلب على هذه الصعوبة أيضاً ، إذا أنهم يستطيعون فى البداية أن يركنوا إلى مساعدة بعض الهنديين المسلمين ممن يمكن الاعتماد عليهم ، فإذا استمرت هـــذه الحال عاماً أو بعض عام ، تمكن مندوبو الأزهر من المعلومات والتجاريب التى تؤهلهم للاستقلال بالعمل .

وما دامت البعثات التبشيرية المسيحية — من أوربا وأمريكا — قد استطاعت أن تشق لنفسها طريقاً فى الهند ، فلمَ لا تستطيع بعثة إسلامية مصرية أن تشق لنفسها طريقاً مماثلة ؟

لذلك أتوجه بالرجاء إلى الرجال المسؤولين فى الأزهر : أن يرسلوا إلى الهند بعثة لتبليغ الدين الإسلامى الحنيف . وليسمح لى الأزهر أن أتجاوز معه حدود اللياقة ، فأذهب إلى القول بأن إرسال هـــذه البعثة واجب من واجباته ، فاننا نواجه — نحن المسلمين فى الهند — صعوبات لا تحصى فى المحافظة على كياننا ، مع تأدية واجباتنا نحو الإسلام فى هذه البلاد ؛ ونحن لذلك فى مسيس الحاجة إلى ما يستطيع أخواننا المسلمون — من خارج الهند — أن يقوموا به من أجلنا .

وإن الأزهر — بإرساله بعثة إلى الهند — ليقوم بواجب مقدس نص عليه فى الكتاب الكريم فى قول الله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

كما أن إرسال هذه البعثة سيشد أزر المسلمين الهنديين الذين يقومون بالتبليغ اليوم ، أو يحتمل

أن يقوموا به فى المستقبل ، وفى ذلك تحقيق لقوله تعالى فى مكان آخر « وتعاونوا على البر والتقوى »
أما جهودنا ، أما مساعداتنا ، فإنا نضعها تحت تصرف الأزهر وقتما يشاء » .

***

هذه هى وجهة النظر التى تقدمت بها جمعية « أنجمان تبليغ الإسلام » بأمبالا ، على لسان الأستاذ بهيج نيرانج . وقد استفسرنا منه عن المراكز التى يصح أن يبدأ الأزهر العمل فيها — إذا أسفر تقريرنا عن اعتزامه القيام بالتبليغ فى الهند ، فكان من رأيه أن العمل يجب أن يتركز أولا فى الجنوب فى إقليم مالابار ، وهو الإقليم الذى بدأت جمعيته فعلا بالعمل فيه .

ولما أن تذاكرنا معه فى نفس الشأن ، بحضور السير محمد إقبال ، ذهب السير إقبال إلى القول بأن المراكز التى يجوز أن يبدأ العمل فيها هى (سورات) ، و(دكا) ، و(رانجون) ؛ ولكن الأستاذ نيرانج عاد فأكد ماذهب إليه أولا ، من أن الجنوب أولى بالعناية ، وأن إقليم (كيرال) إقليم ينجح فيه العمل برأس مال قليل قدّره بمبلغ عشرة الآف روبية (٧٥٠ جنيهاً تقريبا) لإنشاء صناعة Choir ، وفى ذلك مايزكى حركة الإسلام القائمة هناك .

وقد رأينا كذلك أن ننتفع بالأستاذ نيرانج ، بأن نطلب إليه أن يدلى برأيه فى تقرير أرسله إلى الأزهر الأستاذ فضل رحيم المحامى بناجبور ، فكتب إلينا مايأتى :

ملاحظات على تقرير الأستاذ فضل رحيم

« است أرى أنه بَعُدعن الصواب فى قوله : بوجوب وضع نظام يكفل للمنبوذين التعليم والعمل ، وكذا رفع مستواهم الاجتماعى والاقتصادى ، إذا ما اعتنقوا دين الإسلام .

قد يكون الأستاذ فضل رحيم عنى فى كلامه بيئة المنبوذين فى إقليمه ، وتسمى (المهار) ، ولكن مع ذلك ، فإن نظريته تنطبق على بعض المنبوذين فى أماكن أخر ؛ وإنها فى الواقع لمعضلة . فإذا صمم جمهور من المنبوذين على أن يعتنقوا الإسلام أو أى دين آخر (بالجملة) ، فقد لاتستطيع دولة أو حكومة ذات موارد ، أن تواجه مستلزمات هذا الموقف إلا بالتدريج ، وعلى نظام (القطاعى) .

حتى أولئك السيخ الذين جمعوا فعلا ٧ لاك (٥٠٠ ر ٥٢ جنيــه) ، ويستطيعون أن يضاعفوها فى غير إبطاء — إذ أن مال التبشير ميسور لديهم ، وحاكم بتيالا يعنى بتحويل المنبوذين

إلى ديانته — لا يستطيعون مواجهة هذه الحال ، وكذلك جمعيات التبشير المسيحية ، بمصادرها المالية المعروفة .

وليس معنى ذلك أنه يجب علينا أن نصرف النظر عن المسئوليات المالية التى تنجم عن إسلام المنبوذين ؛ فمن المحتمل أن من يسلم من أصحاب الحرف اليدوية يكون جزاؤه المقاطعة من أصحاب الأعمال الهندوس ، ومن يسلم من الزراع الذين يعملون فى مزارع الهندوس يكون جزاؤه الطرد من المزرعة ، ومن يسلم ممن يسكنون مساكن الهندوس يطرد من مسكنه ، ومن يسلم ممن يرعى الغنم فى أرض الهندوس يحرم من الرعى فيها ، إلى غير ذلك من وسائل العنف التى يبتكرها الهندوس ليلجئوا هذه المخلوقات الضعيفة إلى العودة إلى الحظيرة الهندوسية ؛ وقد وقعت تحت أنظارنا بالفعل أمثلة من هذه المآسى .

لذلك يجب أن تكون بين أيدينا أموال للإنفاق منها فى الأوجه الآتية :

١ — إنشاء صناعات يعيش عليها بعض الذين يعتنقون الإسلام .

٢ — إعداد العدة لتثقيف أبنائهم بالتعليم الأولى على الأقل .

٣ — تزويد المسلمين الجدد بالتعاليم الأولية فى الإسلام وأصوله ، وتعليمهم الصلاة وما إليها .

٤ — مساعدة المدينين منهم وغيرهم ممن يحتاجون إلى المساعدة » .

احتمالات النجاح

ثم قال : « علمت أن الجرائد المصرية والسورية وغيرها — من جرائد العالم الإسلامى خارج الهند — قد نشرت مقالات مبالغاً فيها على حركة المنبوذين ، وأنها ذهبت إلى القول بأنهم لم يقصروا تصميمهم على ترك الديانة الهندوسية ، بل تعدوه إلى التصميم على اعتناق الإسلام .

وقد علمت أن بعض الجرائد ذهب إلى حد القول بأن عدداً هائلا منهم ، قد اعتنق الاسلام فعلا ؛ حتى فى بلاد الهند نفسها جرت بعض الجرائد الإسلامية ـ التى تصدر فى أمكنة بعيدة عن مواطن الحركة ـ على أن تنشر أنباء وردت عليها من مراسلين مهملين ؛ فكان لتلك الأنباء فى أذهان مسلمى الهند مثلما كان لأنباء الصحف الخارجية فى أذهان المسلمين الآخرين ؛ لذلك لا نرى موضعاً للوم الصحافة المصرية وغيرها ، على نشر الأنباء غير الصحيحة .

على أن الأمر من الدقة بحيث يجب علينا أن نلتمس الحيطة فى تلقى مثل هذه الأنباء ، وأن نميز بين الغث والسمين ، وذلك تجنباً لبعض الأنباء المضللة لمن لا حذر عندهم . مثال ذلك :

١ — يتخذ بعض الهندوس أسماء إسلامية مستعارة ، ويكتبون لبعض الصحف الإسلامية قائلين : إن عدد كذا من المنبوذين فى إقليم كذا قد اعتنقوا الإسلام يوم كذا . و تنشر الصحف ، على براءتها وعدم شكها فى المراسل ، هذه الأنباء بعناوين ضخمة ؛ ثم تتناقلها الصحف بعضها عن بعض ، وبعد أن تهلل الصحف وتكبر لهذه الأنباء ، تنبرى لها الصحف الهندوسية فتنشر تكذيباً قاطعاً لكل مانشرته الصحف الإسلامية ، ثم تعلق عليها فى فخار « انظروا إلى هؤلاء المسلمين والمفتريات التى ينشرونها ، أيظنون أنهم يستطيعون إغراء المنبوذين على اعتناق دين يستسيغ هذه الأكاذيب ؟ » . وتكون نتيجة ذلك : أن يفقد المسلمون مكانتهم فى أعين النابهين من المنبوذين ، فى حين يأبى القراء من المسلمين تصديق مثل هذه الأخبار ، وقد تزعزع ثقتهم فى أعمال رجال التبليغ ، فيصيب الإسلام بذلك ما يصيبه من أضرار .

٢ — يظن بعض الأغبياء من المسلمين أنهم يخدمون التبليغ ، و يخلقون التحمس بين المسلمين بنشر أخبار من أمثال هذه المبالغات ؛ فينعمون بمبالغاتهم . ولكن هؤلاء ممن ينطبق عليهم المثل القائل « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .

٣ — يوجد بين الطبقات الإسلامية من يعيشون على التبشير والدعاوة ، ولكن بغير ضمير حى ؛ فهم ينشرون وقائع قد تكون حقيقية ، كما قد تكون موهومة ، وقد تكون مجرد فكرة عندهم لمّا تخرج إلى حيز التنفيذ ، ولا همّ لهم فى ذلك إلا أن يضللوا الجماهير ليصلوا إلى مايريدون من مال .

٤ — كما يوجد بيننا قوم ، وإن كانوا متصفين بالشرف والجد فى عملهم ، إلا أنهم لا يعنون بالنظر إلى الحوادث نظرة الناقد الخبير ؛ ولذلك تكون استنتاجاتهم فى غير محلها .

٥ — على أن الحركة واسعة النطاق كثيرة التعقيد ، وقد ظهر على المسرح عدد عظيم من الممثلين يختلفون اختلافاً كبيراً فيما يحفزهم للعمل ، ويتصرفون بين آن وآخر تصرفات متنافرة ؛ وأكثر من ذلك أن المنبوذين يعيشون فى مناطق شاسعة الأطراف ، وتختلف ظروفهم باختلاف تلك الأقاليم ، بحيث يتعذر — حتى على الرجل الحصيف النابه ، والناقد المسئول — أن يمحص الحقائق ، ويصل إلى الاستنتاجات الصحيحة .

فإذا عرضنا كل ذلك تلخص الموقف فيما يلى :

١ — لقد وصل كثير من المنبوذين إلى عقد مؤتمرات قرروا فيها ترك الديانة الهندوسية ؛ ولكن ليس معنى هذا ، أنه قد حصل فى كل مكان ، ولا بين المنبوذين جميعاً فى مكان واحد .

٢ — تردد صدى هذه القرارات فى كل مكان تقريباً ، ولـكن بين الطبقات النابهة من المنبوذين ، وبقيت جماهير لا تعرف من هذه الحركة شيئاً ؛ على أن الدوافع — التى حدت بأصحاب هذه القرارات للقيام بما أقدموا عليه ، وكذا أولئك الذين رددوا صداها — لم تكن دينية ولا روحية ، بل كانت مدنية بحتاً .

٣ — صدر مثل هذه القرارات في بعض الأمكنة في الولايات المتوسطة .

٤ — كان بعض الزعماء — وخاصة الدكتور أمبدكار — يقولون بضرورة الاحتفاظ برأيهم في الدين الذى يقع عليه اختيارهم وقتاً ما ، ويتلخص رأيهم في أنه يجب عليهم أولا أن يقنعوا الجماهير بترك الديانة الهندوسية ، فإذا تم لهم ذلك — ولن يتم إلا بعد وقت طويل — عقدوا مؤتمراً من جميع الزعماء ، نائبين عن جميع المنبوذين ، لاختيار دين من أربعة أديان : الإسلام ، المسيحية ، البوذية ، السيخ ، بكثرة الأصوات . ولـكن الدكتور أمبدكار كان يفاوض السيخ سراً ، كما ذكرنا ، ولذلك قد تـكون فـكرة عقد المؤتمر خدعة فحسب .

٥ — كان هؤلاء الزعماء يقولون : إنهم يرغبون في دين يكفل لهم الحرية والإخاء والمساواة ، ففطن قومنا أنهم يريدون بذلك الدين الإسلامى ، ولو لم يذكروه صراحة ؛ هذا استنتاج من جانبى قد أكون مخطئاً ، وقد أكون مصيباً فيه .

يستنتج من كل ذلك أن نجاحنا لا يتوقف على إخلاص الزعماء وحسن عقائدهم — وكلهم من رجال السياسة — ولـكنه يتوقف على نفسية الجماهير التى ألهب الزعماء أذهانهم بفـكرة تغيير الدين ، وذلك بعد أن دللوا لهؤلاء على سوء حالهم فى ظل الديانة الهندوسية .

ومثل الزعماء فيما صنعوا ، مثل المشعوذ الذى استطاع بتعاويذه أن يستحضر الشياطين ، ولـكنه جهل التعويذة التى يصرفهم بها ؛ فقد واجهوا هذه الجماهير بضرورة تغيير الدين ، وهم لا يستطيعون بعد ذلك أن يطالبوهم بالبقاء فيه ؛ لأنهم إن فعلوا ذلك ، فقدوا ثقة الجماهير بهم . لقد وضع الزعماء الحديد فى النار فاحمر ، ولم يبق علينا إلا أن نطرقه وهو فى حال الاحمرار ؛ فإذا تقاعسنا عن العمل الآن ، برد الحديد ثم ضاعت الفرصة ، وتحتم علينا أن نعانى وضعه فى النار مرة جديدة .

هـذا ما طفقت أنادى به المسلمين فى الهند عاما كاملا ؛ ولـكن قليلا منهم من استمع إلى هذا النداء » . اهـ

رأى البعثة فى المنبوذين

هذا ماخص وجيز لحال المنبوذين اليوم نخرج منه بالنتائج الآتية :

يختلف المنبوذون فى طباعهم ، وعاداتهم ، ولغاتهم ، ودرجة انتشار التعليم الأولى بينهم ، باختلاف الإقليم الذى يعيشون فيه ، كما تختلف الطرق الواجب اتباعها لتنويرهم فى مبادىء الدين الإسلامى ، وكذلك تختلف درجات استعدادهم لاعتناق الإسلام .

وخير طريق لمعالجة هذه الحال : هى أن تعتبر كل فئة من المنبوذين قائمة بذاتها ، وأن تبحث حالها الخاصة ، في ضوء المعلومات والمشاهدات التى دونّاها عنها ؛ وهى وإن كانت معلومات أولية بحتاً ، إلا أن البعثة لديها من المستندات والمصادر ما تستطيع به أن تتوسع فى المعلومات ؛ ولكنها لاترى ضرورة لذلك ، إلا إذا استقر رأى الأزهر على العمل فى إقليم خاص ، وذلك توفيراً لجهود قد لا تدعو الحاجة إليها .

والبعثة تشارك الأستاذ نيرانج رأيه فى ضرورة الابتداء بالجنوب للأسباب الآتية :

فى ترافانكور

١ — : لقد بدأ العمل فعلا فى هذا الإقليم تحت رعاية جمعية «أنجومان تبليغ الإسلام» بأمبالا .

٢ — ارتفاع نسبة التعليم الأولى بين طبقات المنبوذين فيها ، إذ تبلغ النسبة ١٤٩ فى الألف ، وهى أكبر نسبة عرفت بين المنبوذين ، فى كافة أنحاء الهند .

٣ — قلة المال المطلوب لهذا العمل ؛ إذ ذكر الأستاذ نيرانج فى تقريره : أن الصناعة التى يمكن إنشاؤها فى هذا الإقليم ، لا تتطلب أكثر من ٧٥٠ جنيهاً مصريًا تقريبًا .

٤ — ولا يضرنا قرار « راجا ترافنكور » بفتح المعابد للمنبوذين ، لأن هذا القرار أصبح عديم الأثر ، لما لاقاه من تعنت من طبقات الهندوس العليا .

• • •

كما تشارك البعثة السير محمد إقبال رأيه ، فى ضرورة إنشاء مراكز أخر للتبليغ فى : سورات ، ودكا ، ورانجون ، للاعتبارات الآتية :

فى سورات

١ — تقع سورات فى إقليم بومباى ، الذى بدأت فيه حركة تغيير الدين ، على يدى الدكتور أمبدكار ؛ وقد نبهت هذه الحركة شعور الجماهير فخلقت فيهم الاستعداد .

٢ — يعتبر إسلام المنبوذين فى سورات من الأمور الهينة نسبياً ، نظراً إلى أن محور الحياة العامة فيها ، أقرب إلى الصناعة منه إلى الزراعة ؛ مما يسهل معه على من يسلم من المنبوذين ألا يستهدف إلى الأخطار التى يستهدف لها الزراع منهم ؛ إذ أن معظم أصحاب المصانع من (البارسى) لا من (الهندوس) .

فى دهلى ، وراجبوتانه

يصلح هذان الإقليمان للدعاوة الإسلامية ، بصرف النظر عن شئون المنبوذين نظراً لانتشار الديانات القَبَلِيَّة فيهما ؛ فلكل قبيلة دينها ، وهما بذلك تربة خصبة لتبليغ الدين الإسلامى الذى لايلبث أن ينتصر على العقائد التى لايدعمها يقين ، ولاتتركز تعاليمها فى كتب معترف بها ، فضلا عن أن الديانات القبلية — على وجه العموم — عديمة العصبية ، لاتربط أتباعها رابطة كالتى تربط الهندوس مثلا ؛ يزاد عن ذلك أن الظروف السياسية لا تلعب بينهم دوراً ذا شأن ، كما هى الحال فى غير هذين الإقليمين .

فى ناجبور

وتعتبر منطقة الولايات الوسطى كذلك صالحة للعمل للاعتبارات الآتية :

يوجد فى ناجبور (عاصمة الولايات الوسطى) حركات ثلاث لتبليغ الإسلام بين المنبوذين :

١ — حركة الأستاذ « فضل رحيم » وهى حركة يمكن أن تؤتى ثمرة طيبة ، إذا تعهدتها يد أقدر على ظروف العمل .

٢ — حركة الطبيب « أسرار أحمد » ؛ وهو شاب يتوقد غيرة ، وقد استطاع أن يقنع ندوة العلماء بضرورة المساهمة فى العمل ، وقد ساهمت فيه فعلاً .

٣ — حركة السيد « فضل الحق » ، وله مدرسة لأبناء المنبوذين .

وجميع هؤلاء على صلة بزعماء المنبوذين ، سواء من نجح منهم فى الانتخابات ، ومن لم ينجح .

فى حيدر آباد

وتعتبر إمارة حيدر آباد كذلك صالحة للعمل . وفيها عاملان عظيمان : —

١ — « نواب محمد يارجنج » من كبار الأعيان ، وقد أسلم على يده كثيرون ؛ وعمله منظم وله مستقبل .

٢ — الأستاذ « محمود فاندرمان » ، وهو يلاقى نجاحا فى كل مكان .

فى بومباى

أما منطقة مدينة بومباى فتقوم فيها « جمعية أنجومان تبليغ الإسلام » ببومباى ؛ وهى جمعية يرعاها الحاج « قاسم على شـــيراز بهاى » ، ولـكن أمورها الإدارية والعملية فى يد الأستاذ « محمد زكريا منيار » ؛ وهو رجل نشيط كثير الحركة ، إلا أن له خصوماً فى التبليغ والسياسة ، مما لا يحسن معه أن يكون واسطة الاتصال فى هذا الإقليم ، وحبذا لو صرف النظر عن بومباى الآن .

هذه هى حال التبليغ كما هى عليه اليوم ، وقد ذكرنا أهم الشخصيات القائمة بالعمل ، تاركين فى هذا المقام جماعة الأحمدية اللاهورية الذين يعنون بالدعاوة فى خارج الهند ، وجماعة الشيعة (مدرسة الواعظين) الذين يركزون نشاطهم فى إفريقيا الجنوبية .

وفى رأينا أن الحركة — لو تركت على ماهى عليه الآن — مكفولة السير إلى الأمام ، ولـكن ببطء محزن ، فإذا ماحفزها حافز خارجى ، كانت عظيمة النتاج ، ولاسيما إذا اتجهت النية إلى توحيد النظم ، وتركيز العمل ؛ بإنشاء إدارة مركزية تكون حلقة الاتصال بين هذه الهيئات .

ملخص مقترحات البعثة

على ضوء المعلومات التى أوردناها فى هذا التقرير ، تستطيع البعثة أن تقترح ما يأتى :

أولا : لنشر الثقافة الاسلامية بالهند

ا — الاتصال بالهيئات الآتية : —

١ — حكومة حيدرآباد ، بشـــأن : إنشاء كرسي للغة الأردية بالأزهر .
والمساهمة فى مشروع ترجمة معانى القرآن .

٢ — حكومة بهوبال ، بشـــأن : إيفادمبعوثين مصريين أزهريين إلى بهوبال .
وموافاة السير روس مسعود وزير المعارف
بأول جزء يفسر من القرآن الكريم .

٣ — حكومة رامبور ، بشـــأن : إيفاد أحد خريجى الأزهر إلى المدرسة الدينية هناك .

٤ — حكومة بهاولبور ، بشـــأن : استعداد الأزهر للمساهمة فى النهضة العربية
الإسلامية بالجامعة العباسية .

٥ — جمعية أنجمان حماية الإسلام بلاهور : لوضع مناهج دينية لكلية البنات .

٦ — جامعة عليكرة ، بشـــأن : إيفاد مدرسين أزهريين للجامعة .
ووضع مناهج لشعبة العلوم الدينية بها .

٧ — الجامعة الملية بدلهى ، بشـــأن : إيفاد مبعوث أو أكثر إلى الجامعة فى حدود ما عرضته .

٨ — الدكتور محمد حسين بدهرادون : للاتفاق على وضع منهاج يحقق فكرته التى يرمى
بها إلى إعداد طائفة من طلابه للالتحاق بكلية
أصول الدين رأساً .

٩ — السيد سليمان الندوى ، بشـــأن : استطلاع رأيه فيما أشار إليه فى حديثه عن مجلة
الأزهر ودعوته للتحرير بها .

ب — تنظيم بعثات الهند إلى الجامعة الأزهرية .

جـ — تنظيم استقبال القادمين إلى مصر والمارين بها ، من عظماء المسلمين فى الهند ، ودعوة بعضهم لإلقاء المحاضرات ، مع العمل على منحهم درجة العالمية الفخرية .

د — دعوة بعض عظماء الهند لحضور العيد الألفى للأزهر .

هـ — الإرشاد إلى أحسن الكتب لتعليم اللغة العربية .

و — إرسال مناهج الأزهر للجامعات والمؤسسات العلمية الإسلامية .

ز — إرسال « مجلة الأزهر » إلى المدارس والجمعيات والشخصيات البارزة .

ثانيا : عن شئون المبعوثين

ا — فى حالة ما إذا رأى الأزهر أن يقوم بعمل مباشر ، فإنا نقترح إنشاء مراكز للثقافة والتبليغ (وفق المشروع المرافق) فى الجهات الآتية :

(١) مركز فى إقليم كيرال فى الجنوب الغربى للدكن .

(٢) مركز فى إقليم سورات بمقاطعة بومباى .

(٣) مركز فى إقليم دكا فى البنغال الشرقية .

(٤) مركز فى إقليم رانجون فى برما .

(٥) مركز فى إقليم ناجبور فى الولايات الوسطى .

ويستحسن فى هذه الحال الاتصال بالأستاذ « غلام بهيج نيرانج » ، للاتفاق معه على إنشاء هذه المراكز ، كما يستحسن — فى حال التوسع في العمل — أن تنشأ إدارة مركزية فى لاهور ، تكون حلقة الاتصال بين هذه المراكز بعضها وبعض ، ثم بينها وبين الأزهر .

ب — فى حالة ما إذا رأى الأزهر أن يتفادى ما يحتمل أن يقوم من الصعوبات ، إذا اعتزم إرسال البعثات باسم التبليغ ، فالبعثه ترى عندئذ أن يوفد الأزهر إلى الهند عدداً من رجاله لنشر الثقافة الإسلامية ، مع تكليفهم الاتصال بجمعيات التبليغ الحالية للتعاون معها .

على أن يقوم الأزهر بما يأتى :

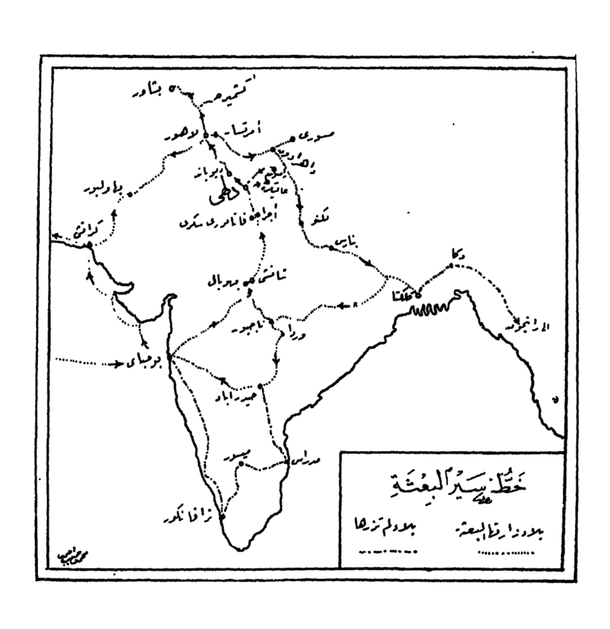
١ — قبول خمسة من أبناء المنبوذين — الحاصلين على شهادة الماتريك — بالأزهر لإتمام علومهم والتخصص فى الوعظ والإرشاد .

٢ — الاتفاق مع ندوة العلماء بلكنو ، على قبول عشرين من أبناء المنبوذين باسم الأزهر لإتمام تعليمهم الدينى بها .

٣ — إعانة الجمعية الإسلامية بناجبور ، مقابل افتتاحها فصولا جديدة لأبناء المنبوذين .

٤ — إعانة « جمعية أنجمان تبليغ الإسلام » بأمبالا ، على شريطة أن يخصص المال لتبليغ الإسلام بين المنبوذين فى إقليم كيرال .

والله ولى التوفيق



خطوط سير البعثة
بلاد زارتها البعثة
بلاد لم تزرها
بشاور
كشمير
أمرتسار
لاهور
ديوبند
دهلي
بهاولبور
كراتشي
لكنو
بنارس
كلكتا
دكا
بهوبال
بومباي
حيدر اباد
مدراس
ميسور

فهـــرس

مقـــدمة

بين مصر والهند

دراسات البعثة

المسلمون فى الهند

نواحى النشاط فى البيئات الإسلامية

أعمال البعثة

آراء فى الثقافة الاسلامية

تقرير عن حال المنبوذين

المنبوذون

)95

)7